غادة اليابان

بيرل بك

Amly

روايات الهلال



روائع القصص العالمي

غـادة اليابان



بقلم الروائية العالمية

بـيرل بك



مؤلفة الرواية

ولدت «بيرل سيدنستريكر بك » Pearl Sydenstricker Buck فى بلدة (هيلز بورو) بولاية فرجينيا الغربية بأمريكا يوم ٢٦ يونية سنة ١٨٩٢ ، وقبل أن تتم السنة الاولى من حياتها سافرت الى الصين حيث كان ابوها يشتغل بالتبشير . ولما بلغت الخامسة عشرة من عمرها التحقت بمدرسة داخلية فى شنغهاى . ثم عادت لامريكا بعد سنتين والتحقت بكلية « راندولف ــ ماكون »

ولما عادت الى الصين قضت سنوات فى شمالها ، ثم انتقلت الى مدينة نانكين حيث عملت مدرسة للاداب الانجليزية بجامعتها ، ثم عملت فى الجامعة الجنوبية الشرقية ، ثم فى جامعة « شنج ــ يانج »

وفى سنة ١٩٢٥ عادت الى امريكا حيث حصلت على درجة الاستاذية من جامعة « كورنيل » وفازت بجائزة « لورا مسنجر » للتاريخ عن موضوع « الصين والغرب »

واول رواية اخرجتها هى « ريح الشرق » التى الفتها خلال رحلتها الثانية لامريكا . ثم اخرجت رواية « ريح الغرب » فى سنة ١٩٣٠ . وفى السنة التالية اخرجت رواية «الارض الطيبة» فاعجب بها النقاد جميعا ، لدرجة أنها ظلت واحدا وعشرين شهرا فى طليعة الكتب الشديدة الرواج

وظهرت لها بعد ذلك رواية « الابنـاء » ــ وهى تتمة لرواية « الارض الطيبة » ــ فى سنة ١٩٣٢ . وقد وصفها وليم ليون فيلز بأنها من المؤلفات الممتازة فى العصر الحديث . ثم ظهر الكتاب الاخير عن اسرة وانج فى سنة ١٩٣٥ باسم « بيت منقسم على نفسه » . وصارت الروايات الثلاث تباع فى مجلد واحد بعنوان «بيت الارض»

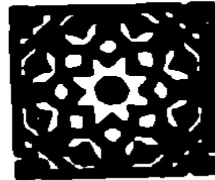
وفى خلال ذلك ظهرت لها فى سنة ١٩٣٤ رواية قائمة بذاتها باسم « الأم » . كما نشرت لها قبل ذلك ترجمة لاشهر قصة صينية وهى قصة « شوى هوشان » وقد جعلت عنوانها بالانجليزية :

« كل الناس اخوة » . وفى سنة ١٩٣٦ نشرت لها روايتا «المنفى» و « الملك القاتل » وكانتا ترجمة لحياة امها وابيها . وفى سنة ١٩٣٨ كتبت لاول مرة عن الحياة الامريكية فى رواية « القلب الفخور » ، وكانت الحلقة الاولى لسلسلة روايات عن النساء الامريكيات

وقد منحتها جامعة « ييل » فى سنة ١٩٣٣ درجة الاستاذية الفخرية فى الاداب . وفى السنة التالية انتقلت الى امريكا حيث أقامت بها ومنحت ميدالية هويلز سنة ١٩٣٥ . واختيرت عضوا فى المعهد الوطنى للفنون والاداب سنة ١٩٣٦ . ثم منحتها الاكاديمية السويدية جائزة نوبل للاداب سنة ١٩٣٨ « لوصفها الدقيق للحياة الصينية الريفية » . كما منحت درجة الدكتوراه الفخرية فى الاداب من جامعة فرجينيا وجامعة سانت لورنس

وفى سنة ١٩٣٩ نشرت لها رواية « الوطنى » . واعقبتها فى سنة ١٩٤٠ . بروايتها الثانية عن الحياة الامريكية واسمها «آلهة آخرون» ثم اثرت فيها الحرب فنشرت فى سنة ١٩٤٢ رواية عن أهوالها باسم « بذرة الفول » . واخرجت تكملة لها فى سنة ١٩٤٣ باسم «الوعد»

ومنذ سنوات صدرت لها رواية « رجال الله » وهى تمثل مشكلة العصر الحاضر ، وهى الصراع المستمر بين الايمان والقوة .. وقد ألقت بيرل بك كثيرا من المحاضرات ، طبع بعضها فى ثلاثة مجلدات، كما طبع بعد ذلك مجلدان شملا قصصا صغيرة كتبتها . واربعة كتب الفتها خصيصا للاطفال . وقد اسست « جمعية الشرق والغرب » وتولت رياستها ، وغايتها التقريب بين الشرقيين والغربيين ..



شخصيات الرواية

الجنرال واى	General Wu	: جنرال صينى عجوز عاصر عهد الملكية الصينية
المستر واو	Mr. Wu	: ابن الجنرال واى ، ومدير بنك الصين
اى ـ وان	I-Wan	ابن المستر واو ، شاب جامعى مثقف
آى ـ كو	I-Ko	الابن الاكبر للمستر واو، شاب مدلل
بيونى	Peony	: فتاة حسناء تعيش جارية فى قصر المستر واو
الجنرال سيكى	General Seki	: قائد يابانى خطير الشأن
اين ـ لان	En-Lan	: شاب جامعى يتزعم جمعية ثورية سرية
بنج ـ ليو	Ping-Liw	: شاب جامعى وعضو بالجمعية السرية
المستر موراكى	Mr. Muraki	: تاجر يابانى عجوز واسع الثراء
بونجى	Bunizi	: ابن المستر موراكى الاصغر
اكيو	Akio	: الابن الاوسط للمستر موراكى
سيو	Siow	: الابن الاكبر للمستر موراكى
تاما	Tama	: الابنة الوحيدة للمستر موراكى
الكابتين ماجورك	Captain Macjork	: طيار امريكى شاب
الجنرال شيانج ـ كاى ـ تشيك	General Chiang Cai-Shek	: زعيم الصين الوطنية

لفصل الأول

فى القصر الكبير

عندما فتح « آى ـ وان » عينيه على الحياة ، وجد نفسه يعيش مع شقيقه الاكبر الوحيد « آى ـ كو » فى قصر منيف على الطراز الاوروبى بالحى الافرنجى فى شنغهاى . وفى ذلك القصر الكبير المحاط بالحدائق الغناء ، والجداول الرقراقة ، والبرك الصناعية والجبلايات الانيقة . فى ذلك القصر الكبير الذى تحيط به وبحدائقه هذه الاسوار العالية المنيعة ، نشأ « آى ـ وان » مع أخيه الاكبر هذا الوحيد « آى ـ كو » مع والديهما ، وجديهما لوالدهما ، وبين حشد من الخدم والعبيد والجوارى

وكان والده المستر « واو » من اغنى اغنياء مدينة شنغهاى ، وواحد من اكبر رجال المال والاعمال فيها .. اذ ان فروع بنكه الكبير ، الذى ورثه عن أبيه العجوز الجنرال واى ، كانت تمتد فى معظم البلاد الصينية ، كما كانت ثروته الطائلة تتغلغل فى معظم الصناعات القائمة فى ذلك الحين ، اى فى العام الخامس عشر من قيام اول جمهورية صينية بزعامة «صن ـ يات ـ صن» بعد سقوط امبراطورية مانشو . وفى هذا العام كان بطلنا الشاب «آى ـ وان» قد بلغ العشرين من عمره ، بينما كان أخوه « آى ـ كو » قد بلغ الثامنة والعشرين . ولم يكن ثمة ما يزعج الاخوين فى الحياة الا اختلاف طباعهما اختلافا باعد بينهما ، حتى أصبح كل منهما يكاد يعيش فى عزلة عن الاخر رغم اقامتهما الدائمة فى قصر الاسرة !

كان « آى ـ وان » منذ طفولته وادعا ، متزنا ، سمح الوجه ، راضى النفس ، مطيعا لوالديه وجديه .. بينما كان اخوه مدللا ، عنيفا ، لا يرضيه شىء ، ولا يرضى عن شىء !

الا ان حياة « آى ـ وان » كانت تنطوى على حادث وقع عرضا

.. ولكنه كان ، كما يقال ، حجر الزاوية فى حياته كلها ، فبينما كان ذات يوم يقرأ كتابا فى فناء المدرسة ، اذا برجال الشرطة يقتحمون المدرسة ، ويقبضون على بعض الطلبة ، ومن بينهم « آى ـ وان » حين ضبط متلبسا بقراءة ذلك الكتاب الذى كان عن حياة كارل ماركس

ولكن بمجرد أن عرف مدير السجن فى مساء اليوم نفسه أن آى ـ وان » هو ابن المستر « واو » صاحب بنك الصين الكبير ، بادر الى الاعتذار اليه ، وكاد ان يقبل يديه حتى لا يذكر هذا « الخطأ » غير المقصود لابيه ، ووعده « آى ـ وان » بذلك ، بشرط أن يفرج عن شاب كان معه فى نفس الزنزانة ، وكان يبدو من ملابسه انه طالب بالجامعة

وبعد تردد طويل ، وافق مدير السجن على اطلاق سراح ذلك الطالب الجامعى الذى كان يدعى « اين ـ لان » وخرج الشابان الى الطريق حيث أشار « آى ـ وان » الى احدى المركبات .. ولما استقلاها ، قال « اين ـ لان » :

ـ لماذا اصررت على طلب الافراج عنى ؟

ـ لانى رايتك تختلف عن الاخرين ، وملابسك تنم على انك طالب بالجامعة ..

ـ اجل .. شكرا ..

ـ كم مضى عليك فى السجن ؟

ـ اكثر من سبعين يوما ..

ـ لماذا ؟

ـ ربما اخبرتك ذات يوم .. الى اين الان ؟

ـ الى قصر ابى ..

فلوى « اين ـ لان » شفتيه ، وقال :

ـ لا استطيع ان اذهب معك

ـ لماذا ؟ ..

ـ لانى ثورى حقا ..

ونظر « آى ـ وان » الى الشاب الذى كان يبتسم بطريقة غامضة ، ثم قال :

ـ هل تعرف انني كنت اتمنى ان اتعرف على ثورى حقيقى ؟!
ـ ان أمثالى كثيرون فى الجامعة ..

وقبل ان يرد « آى ـ وان » وثب الشاب من المركبة ، واختلط بالمارة فى الشارع .. ولكنه حرص ، قبل أن يختفى ، على ان يلتفت الى « آى ـ وان » ويبتسم له ، ويرفع يده اليه محييا ..

وعاد « آى ـ وان » الى قصر والده ، وفتح باب الحديقة الصغير بمفتاحه الخاص ، ودخل الى غرفته دون أن يشعر به احد ، لانه تعود ان يعود فى ساعة متاخرة كل ليلة دون ان يسأله احد اين كان ، او لماذا عاد متاخرا ، وبعد أن ارتدى ملابسه فى الصباح ، اقبلت الفتاة الحسناء « بيونى » ـ وكانت جارية اشتراها والداه منذ طفولتها ـ تحمل ادوات الشاى وطعام الافطار. ولما رأته قد استكمل ارتداء ملابسه ، قالت له معتذرة :

ـ يبدو انى تاخرت عليك هذا الصباح ..
ـ لا يهم .. لانى لن اذهب الى المدرسة

فوضعت صحفة الشاى الفضية ، ونظرت اليه فى دهشة ، وقالت :
ـ لماذا ؟ ..
ـ لانى سالتحق بالجامعة ..
ـ الجامعة ؟ انها لابناء العامة .. وانت من الطبقة الخاصة ، فهل تظن ان اباك وجدك سيوافقان على هذا ؟
ـ اذا لم يوافقا فسوف اضرب عن الطعام ، كما يفعل اخى « آى ـ كو » حتى ينال ما يريد ..!

فالتمعت فى عينى « بيونى » نظرة ماكرة ، وقالت :
ـ وطبعا سوف أحمل اليك الطعام سرا اثناء الاضراب ؟
ـ ايتها الخبيثة !!

وظفر « آى ـ وان » بما اراد .. واضطر والداه الى الموافقة على الحاقه بالجامعة الاهلية ، ولكنهما حرصا فى الوقت نفسه على ان تكون ملابسه الجامعية من افخر الانواع ..

ومرت سنتان ، واقبل العام الخامس عشر من قيام الجمهورية الصينية ، واصبح « آى ـ وان » عضوا فى احدى الجمعيات الثورية الكثيرة التى كانت منتشرة فى جميع انحاء البلاد يومذاك .

ولم يكن احد من أهله يعرف شيئا عن نشاطه الثورى هذا ، ومن لم كان يعيش حياتين : حياة الطالب الثورى فى الجامعة .. الطالب الذى يحلم بقيام جمهورية جديدة بدلا من جمهورية « صن ـ يات ـ صن » والذى يتمنى أن يرى زعيم الثورة الجديد « شيانج ـ كاى ـ تشيك » فى منصب الحكم ، ثم حياة ابن مليونير فى قصر فاخر تحيط به الحدائق الغناء والاسوار العالية !

وفى ذات يوم ، عرج ـ أثناء عودته من الجامعة الى قصر ابيه ـ على متجر للحلوى بالقرب من القصر ليتناول شيئا منه . وفيما هو يغادره ، سمع شخصا يناديه باسمه ، فالتفت ليرى زميله « بنج ـ ليو » وكان زميلا فى الجمعية الثورية ، ولكن لم تكن له اهمية خاصة .. وكان ابن تاجر صغير فقير بالمدينة ، تنم ملامحه ملامح بنج ـ ليو ـ عن الدناءة والخبث والحقد الطبيعى ، كما كانت الرائحة الكريهة تفوح من فمه المفتوح دائما . ولم يكن ثمة أحد فى محيط الجامعة ، او بين اعضاء الجمعية السرية ، يميل الى هذا الشاب او يحب مصاحبته

ولم يسع « آى ـ وان » الا ان يمضى الى زميله هذا مرغما ، وان يبتسم له ويتبادل معه الحديث .. ولكنه كان فى الوقت نفسه يكره أن يعرف هذا الزميل الثورى أنه ـ أى « آى ـ وان » يعيش فى ذلك القصر الفاخر القريب . ولكن « بنج ـ ليو » سار بجانبه حتى وصلا الى بوابة القصر ، وهناك فتح عينيه فى دهشة وقال لـ « آى ـ وان » :

ـ هل هذا قصر ابيك ؟

فاومأ « آى ـ وان » برأسه ، ثم اختلس نظرات سريعة الى نوافذ القصر ، وهو يخشى ان يراه احد واقفا مع ذلك الشاب الذى تنم ملابسه الرثة عن الفقر المدقع .. وتنهد اخيرا حين لم يجد احدا مطلا من نوافذ القصر ، ثم قال لـ « بنج ـ ليو » بسرعة :

ـ ارجو ان نلتقى غدا ..

ولكن « بنج ـ ليو » تلكأ ، وقال وهو يتطلع الى جوانب القصر :

ـ انه قصر رائع يا « آى ـ وان »

ـ اجل .. ولكننى لم أشيده بنفسى . لقد نشأت فوجدت أبى

قد شيده على هذا الطراز الاوروبى . وبطبيعة الحال ، لم يكن فى وسعى الا ان اعيش فيه

واردف بسرعة قائلا :

ــ طاب مساؤك يا « بنج ــ ليو »

ــ طاب مساؤك ..

وانطلق « آى ــ وان » مسرعا الى داخل القصر ، وعرج اولا ــ كالمعتاد ــ على غرفة جدته العجوز التى كانت تنتظر عودته من الجامعة ، فى منل هذا الوقت من كل يوم ، لكى تحييه وتقبله وتطمئن عليه .. ثم مضى بعد ذلك الى غرفة جده الجنرال واى العجوز . الذى تلقى علومه العسكرية فى المانيا أيام شبابه ، وان كان لم يشترك طيلة حياته فى معركة حربية واحدة . وبعد أن امضى بضع دقائق الى « ذكريات جده منذ خمسين عاما » عاد مسرعا الى غرفته .. وما كاد يخلع ملابسه الجامعية ؛ ويرتدى ملابس البيت الحريرية الفضفاضة الموشاة بالذهب والفضة ؛ حتى اقبلت عليه بيونى بوجهها الجميل ، وابتسامها العذبة ، ورائحة الياسمين المنبعثة منها دائما ، وقالت له وهى تشير الى الزهور التى جمعتها فى مزهرة فضية بالقرب من النافذة :

ــ هل اعجبتك هذه الباقة يا « آى ــ وان » ؟

وكانت تناديه باسمه مجردا ، لانها نشأت معه منذ الطفولة ، واصبحت اقرب الى اخت له ، منها الى جارية ..

ونظر الى الزهور فى شىء من الاشمئزاز الخفى ، وتنهد قائلا :

ــ انها جميلة ، ولكن رائحتها نفاذة .. ان هذا القصر ملىء بالروائح والعطور على مختلف انواعها .. انه قصر عجيب .. مزعج ..

فابتسمت بيونى وقالت :

ــ المشكلة ان لك انفا شديد الحساسية للروائح العطرية .. حسنا ؛ ان والديك فى انتظارك

وقال فى نفسه : حسنا .. لم يبق غير الجلوس مع الوالدين لحظات . ثم تصبح حرا تماما حتى صباح اليوم التالى ..

ومضى الى والديه اللذين كانا يجلسان ــ كالمعتاد دائما فى منل

هذا الوقت من الاصيل — فى تلك القاعة الفاخرة الرحيبة التى ينم كل شيء فيها عن البذخ وحياة الترف . وكانت امه جالسة الى النافذة — كالمعتاد — تعمل فى قطعة تطريز ، وكان ابوه جالسا الى مكتبه الضخم ، وهو لا يزال مرتديا ملابسه الافرنجية التى يرتديها عادة أثناء عمله فى البنك

قال له الوالد :

— هل مررت على جديك ؟ لقد وصلت الان فقط من البنك ، ويجب ان اغير ملابسى حالا ..

ولكنه لم يتحرك من مكانه .. وعاد يقول :

— هل عاد اخوك من الخارج ؟

— لا يا ابى ..

ورفعت المسز واو عينيها الى ابنها ، وقالت باللغة الانجليزية :

— انك تبدو مرهقا يا « آى — وان »

وكانت المسز واو تتقن الحديث باللغتين الانجليزية والفرنسية ، وكان يحلو لها ان تتحدث باللغة الانجليزية مع ابنها وزوجها بين الحين والآخر . وكان « آى — وان » يبتهج لهذا ، حتى يتخلص من الحواشى الكثيرة التى تزخر بها اللغة الصينية

وعادت الأم تقول :

— يبدو انك تاخرت اليوم كثيرا فى المدرسة ..

— كان لدينا اجتماع بعد الانتهاء من الدراسة ..

فقال والده باللغة الصينية :

— وما نوع هذه الاجتماعات ؟

فرد « آى — وان » قائلا :

— اجتماعات سياسية ..

— حسنا ! كل ما أريده منك ألا تقع فى شبكة احدى هذه الجمعيات السرية التى يهوى الطلبة تكوينها .. ان الطلبة لا يستطيعون اطلاقا تغيير الحكام . ولكن فى استطاعة الحكام اعدام الطلبة ..!

وصاحت الأم :

— « آى — وان » .. عدنى ...

واستطرد الوالد فى حديثه ، دون أن يعير زوجته اهتماما :

ـ ان الحكومة ـ اية حكومة ـ لا تقبل ان يسيطر عليها جماعة من الطلبة والطالبات .. هذا عدا انكم ، فى مثل هذه السن ، لا تعرفون الكثير عن حقائق الحياة الاجتماعية والسياسية والدولية فى بلادكم .. ان كل شاب منكم ثائر ساخط محب للانتقاد .. ولكن من منكم يعرف الحقائق عن شئون التجارة ، والمال ، والقروض الاجنبية و .. ؟

وهنا انفجر « آى ـ وان » قائلا :

ـ ولماذا نحتاج الى قروض اجنبية ؟!

وكان « آى ـ وان » متأثرا بسخط زميله « اين ـ لان » على التجاء حكومة « صن ـ يات ـ صن » الى القروض الأجنبية .. بل ان « اين ـ لان » عرض فى احد الاجتماعات السرية أن يضحى بحياته ليقتل أى وزير يوقع على قرض أجنبى . وكانت تلك أول مرة يعرض فيها أحد اعضاء الجمعية مثل هذا العرض فى سبيل اهدافها ..

واجاب الوالد على ابنه قائلا :

ـ ان كل دولة فى العالم تحتاج الى قروض أجنبية لتنفيذ مشروعاتها الاصلاحية الكبيرة ..

وكان المستر واو رجلا فى نحو الخمسين من عمره ، كبير الجسم ، مهيب المنظر ، مثقفا .. يميل الى تحالف دائم بين الصين واليابان ، منذ أن سمع مندوب اليابان يصيح فى محفل دولى بأن « آسيا يجب ان تكون للاسيويين »

وعاد الوالد يقول فى اشفاق وفهم :

ـ انك يا « آى ـ وان » تعرف كل الحقائق ، لانك تمر بهذه المرحلة الخيالية من العمر الذى يريد فيه الشاب ان يرى كل شىء حوله مثاليا . لقد كنت مثلك فى شبابى ، عضوا فى جمعية سرية .. وكل شاب لابد ان يمر بمرحلة كهذه ، ولكن حقائق الحياة لا تلبث ان تهبط به من سماء الخيال الى أرض الواقع ..

وغمغمت الام قائلة :

ـ ان « آى ـ كو » لا يمكن أن يكون على هذا النحو ..

فقال الوالد فى حدة :

ـ ان « آى ـ وان » اكثر شبها بى من « آى ـ كو »
وبعد برهة صمت قال « آى ـ وان » :
ـ هل تسمح لى يا ابى بالانصراف ؟
ـ بعد لحظة ..

وكان « آى ـ وان » يعلم ان اباه يحب ـ بين الحين والاخر ـ ان يبرز نفوذه ، ويكشف عن سيطرته على جميع الذين فى البيت بهذه الطريقه . ومن ثم ، قرر ان يبقى حتى يأذن له بالانصراف..

وقال الوالد بعد فترة من السكون :

ـ اننى ، ووالدتك ، نفكر فى مستقبلك بعد أن بلغت هذه المرحلة من العمر ، وقد تحدثنا طويلا فى هذا الشأن .. وقررنا أن نترك لك ولاخيك « آى ـ كو » حرية اختيار الزوجة التى يريدها كل منكما ...

فغمغم « آى ـ وان » قائلا :
ـ شكرا جزيلا ..

وكان « آى ـ وان » قد سبق ان عرف هذه الحقيقة من اخيه « آى ـ كو » وكان اخوه يفتح قلبه لكل فتاة جميلة ، بحيث اصبح لا يدرى اية واحدة من صديقاته الكثيرات يتزوج !

وشعر « آى ـ وان » بالجميل لوالديه ، لانه كان يعرف ان كثيرا من زملائه فى الجامعة سوف يتزوجون ، رغما عنهم ، من فتيات اختارهن لهم اهلوهم . وكان هذا من المساوىء التى يريد الثوريون الجدد ان يقضوا عليها ، وان يتقرر حق كل انسان فى الزواج بمن يشاء

وان « آى ـ وان » ليذكر ما حدث فى احد الاجتماعات ، عندما نهضت فتاة من اعضاء الجمعية ، وطالبت بحماس شديد أن يكون للمرأة حق اختيار شريك حياتها ، أو حقها فى عدم الزواج اطلاقا اذا شاءت . وقد شعر « آى ـ وان » بالقلق عندئذ ، وهو يفكر فى حرج موقفه عندما يتقدم للزواج من فتاة معينة فيتلقى منها الرفض ..

ولما رأى « اين ـ لان » هذا القلق باديا على وجهه بعد الاجتماع ، قال له باسما :

ــ لا عليك ياصديقى مما سمعت .. ان هذه الفتاة ذات الصوت المرتفع والحماس الشديد عشيقتى ..

ــ عشيقتك ؟..

فمد « ابن ــ لان » يده فى جيبه ، ثم تناول خطابا وقدمه الى « آى ــ وان » قائلا :

ــ هذه رسالة منها .. لقد اعربت فيها ــ كما ترى ــ عن رغبتها فى ان تكون عشيقة لى ..

ــ ولماذا لا تتزوجها ؟..

ــ لان والدى قد اختارا لى زوجة فى قريتى .. وهذا مايجعلنى اكره العودة الى القرية بعد انتهاء العام الدراسى !

ــ زوجة لك ؟..

وهكذا كان « آى ــ وان » يتلقى المفاجاة بعد الاخرى من صديقه وزميله « ابن ــ لان » الذى انقذه من السجن ذات يوم ..

وافاق من تفكيره على صوت والده ، وهو يقول مستطردا :

ــ ولكن قد آن لك ان تحدد المهنة التى ستتخذها .. هل تحب ان تعمل ــ مثل اخيك ــ معى فى البنك ؟

ولم يجب «آى ــ وان» على الفور .. وانما راح يذكر ما قاله له « ابن ــ لان » ذات يوم بعد أحد الاجتماعات السرية :

ــ اننى احمد الله لان ابى مزارع فقير فى قرية باقصى الجنوب ، على حدود صحراء جوبا ، حيث لا يجد معظم الاهالى ما يقيم أودهم ، ولو كان ابى رجلا راسماليا فى هذه الفترة التى نمر بها ، لتبرات منه ..!

وقال « آى ــ وان » لنفسه : « اذا كان هذا راى « ابن ــ لان » وهو بمثابة زعيم جمعيتنا ، فكيف اقبل العمل مع ابى فى البنك ؟ »

ولما طال به الصمت ، قال له الوالد بحنان :

ــ اننى لن اتعجلك او ارغمك على شىء .. فانت ابنى ، وعندما يستقر رايك على شىء معين ، تعال واخبرنى ..

فغمغم « آى ــ وان » قائلا :

ــ شكرا يا ابى ..

وقالت له امه :

ـ والى اين سوف تذهب بعد انصرافك من هنا ؟
ـ الى غرفتى لاستذكر دروسى ..



وغادر الغرفة ، واغلق الباب وراءه ..

وكان يعلم انه سوف يلتقى بافراد الاسرة كلها بعد ساعتين ، عندما يهبطون الى قاعة الطعام الكبرى لتناول العشاء ، وتحلب لعاب « آى ـ وان » وهو يذكر اطايب الطعام الشهى الذى لو رآه « اين ـ لان » لظن انه امام وليمة فاخرة ، بينما هو فى الواقع الطعام اليومى العادى فى القصر ..

وعاد الى غرفته ليكتب موضوعا انشائيا باللغة الانجليزية ، وكان قد اعتزم أن يبز بهذا الموضوع براعة « اين ـ لان » فى اللغة الانجليزية . ولم يكن يريد ان يتفوق عليه رغبة فى التفوق .. وانما لكى يبين « لاين ـ لان » انه شاب كفء ، لا يقل عنه براعة وذكاء!



الفصل الثانى

أشجان قلب

ظل « آى ـ وان » بعد ان فرغ من العشاء الشهى ، يعمل فى موضوع الانشاء الانجليزى حتى ساعة متأخرة من الليل ، وكان قد اختار لموضوعه حياة « صن ـ يات ـ صن » وبعد ان فرغ منه ، راح يعيد قراءته للمرة الثالثة ، وقد شعر بالرضا التام ، وكانت بيونى فى اللحظات الاخيرة ، قد فرغت بدورها من اعداد فراشه الحريرى الوثير للنوم ، ثم وقفت بجانبه وقد وضعت يدها المعطرة بشذى الياسمين على كتفه ، وخدها على شعره ، وتذكرها فجاة ، وهى واقفة بجانب ازهار الزنبق ، بعد ظهر اليوم نفسه .. واحس بشىء ما يصطرع فى اعماق نفسه ، ولكنه زم شفتيه ، ومال بعيدا عنها بعض الشىء ، وهو يغمغم قائلا فى ضيق :

ـ الى متى تستعملين هذا العطر القوى المزعج ؟

فقالت بدلال :

ـ الى الابد ، لانى احبه .. ولكن ، لا ينبغى أن تستمر فى الاستذكار ، اننا الآن فى ساعة متاخرة من الليل .. وقد آن لك ان تنام

ـ لا تتدخلى فيما لا يعنيك من اعمالى ..

فردت عليه قائلة ، وهى تداعب خده بأصابعها الناعمة :

ـ اذا كنت لم تفرغ بعد من اعمالك ، فانت اذن غبى ..!

ثم اردفت ، وهى تمسح على شعره برفق :

ـ وانا اعلم انك لست كذلك

واحس بقلبه يخفق فجاة ، مرة .. ثم مرتين ، وخامره شعور بالاضطراب ، لقد نشا معها فى القصر يلعبان .. وكان يعرف ـ وهى

تعرف ايضا ـ انها جارية مشتراة ، ولكن جميع من فى القصر ، كانوا يحبونها ويعاملونها كواحدة من افراد الاسرة ، لاسيما بعد ان توفيت الاخت الوحيدة للشقيقين ، والواقع انه كان بين «آى ـ وان» وبيونى احساس اخوى مشترك على مر السنين ، ولكن «آى ـ وان» بدأ يشعر ـ بعد ان تجاوز سن المراهقة ـ باحساس آخر مختلف نحوها ، لقد اخذ يحس نحوها بشىء ، كان يثير فى اعماق نفسه شيئا يرضيه ويزعجه وينفره فى وقت واحد ، وكان هذا الاحساس يشتد ويعنف عندما تضع راسها على شعره ، ويدها على خده .. ولشد ما كان يخشى ان يمد ذراعه ذات ليلة ويطوقها ، ثم يضغط على شفتيها المتوردتين الناعمتين بشفتيه فى قبلة ، تغيبهما معا عن الوجود ..

انه لايريد ان يفعل هذا ، ولم يفعله يوما .. ولكنه يفكر فى هذا دائما ، ويشعر بالخجل من مجرد التفكير ، كان يرى ان كل مشاعره ، وخلجات قلبه ، ينبغى ان تتركز فى هدفه الاساسى لاصلاح شئون وطنه ، وان اى انحراف عن هذا الهدف ـ ولو بالشعور فقط ـ يعتبر خيانة للوطن ، وكان واثقا تماما انه لو لم يكن عضوا فى تلك الجمعية السرية ، لارضى شعوره ذاك نحو بيونى ..

ولكنه ـ فى الوقت نفسه ـ لم يكن يريد ان يكون مثل اخيه « آى ـ كو » ، لقد اعتاد «آى ـ كو» أن يعابث بيونى وأن يلف ذراعه حول خصرها ، وكانت هى تتخلص منه ، كلما فعل هذا .. برفق حينا ، وبعنف احيانا !.. وقد حدث ذات مرة انها لم تستطع أن تتخلص منه الا بعد ان ادمت خديه باظافرها الطويلة المدببة ، مما اضطر « اى ـ كو » الى الانزواء فى البيت لضعة ايام حتى التأمت جراحه . ذلك انه كان يخشى ان يخرج الى اصدقائه ، ويصبح موضع سخريتهم ، حين يرون آثار الخدوش على وجهه .. وهى آثار تنم عادة عن السبب الحقيقى لها ، وقد اثار ذلك الحادث بعض الاضطراب فى جو القصر ، وتحدثت المسز واى على انفراد مع بيونى ، وتحدث الجنرال العجوز مع « آى ـ كو » ، وجاءت بيونى أخيرا الى غرفة « آى ـ وان » حيث بكت كثيرا ، ولما سالها عن سر موقفها هذا العجيب من اخيه ، قالت :

ــ اننى اكره « آى ــ كو » ! لقد كان دائما شريرا قاسيا . .

ولم يسألها « آى ــ وان » كيف كان اخوه شريرا وقاسيا معها : لانه لم يكن يريد ان يعرف . . وانما شعر بالحرارة تسرى فى دمائه يومذاك ، وهو يقول لها :

ــ اننى لن اكون فى يوم ما شريرا او قاسيا معك يا يبونى . .

وقد بكت عندئذ قليلا ، ثم رفعت عينيها اليه ، واجابت قائلة :

ــ انك لا تستطيع ان تكون شريرا يا « آى ــ وان » حتى لو حاولت !

فاحس بالخجل . . وتراجع عنها قليلا ، مما جعلها تهمهم قائلة :

ــ انك لم تعد تحبنى بعد ان كبرت يا « آى ــ وان »

فقال بلهجة حاسمة :

ــ لا . . ان شعورى نحوك لم يتغير يابيونى

فقالت هامسة :

ــ ما اشد احساسى بالوحدة !

فطوى كراسة الانشاء بعنف ، ونهض قائلا :

ــ انصرفى يابيونى . . اننى لم اعد فى حاجة اليك بعد ان فرغت من اعداد الفراش . .!

وكان المعتاد ان تساعده فى خلع ملابسه الخارجية وارتداء ملابس النوم ، ثم اسدال الستائر على النوافذ بعد احكام غلقها ، ولكن خوفه منها ــ او من شعوره الجديد الغريب نحوها ــ جعله فى الاشهر الاخيرة يصر على ان تترك النوافذ مفتوحة ، صيفا وشتاء . . فاذا ابت أن تنفذ رغبته ، نهض بعد انصرافها وفتح النوافذ بنفسه !

ولشد ما كان يعجبه حين يراها لا تغضب من معاملته لها على هذا النحو . . بل كان يرى العبث البرىء يطل من عينيها وهى تبتسم ، كلما اسرف هو فى التظاهر بالنفور منها . .

وفى هذه الليلة ، قالت له ونظراتها العابثة تبتسم فى وجهه المتجهم :

ــ لقد اصبحت كبيرا . . اصبحت الآن رجلا ، ولهذا لم تعد تريدنى هنا يا « آى ــ وان » !. . اصبحت رجلا كبيرا مهيبا .!!

فانقض عليها ودفع بها نحو الباب ، بينما تشبثت هى بيديه

وضحكاتها الناعمة تصافح اذنيه كنغمات موسيقية مثيرة .. واستطاع اخيرا ان يدفعها خارج الباب رغم انها حاولت التشبث بيديه ..

وبعد ان اغلق الباب ، وادار المفتاح فى القفل من الداخل ، وقف وراءه يرهف السمع ، ولما لم يسمع شيئا ، ادار المفتاح فى القفل وفتح الباب واطل براسه منه ، آه .. انها واقفة وراءه تضحك ! وانسحب بسرعة واغلق الباب ، ووقف فى سكون برهة ، انه لن يفتحه لها .. انها تريد هذا ، ولكنه لن يفعل ، ومضى الى النافذة ، وفتح مصراعيها بقوة .. انها اذا كانت وراء الباب حتى الآن ، فسوف تعلم انه فتح النافذة ، وانه سيأوى الى فراشه ، واحس بالرغبة فى العودة الى الباب ليرى اذا كانت واقفة ام لا ، ولكنها لو كانت واقفة ، فسوف تدخل هذه المرة رغما عنه ..!

وماذا بعد ؟..

لا .. انه كرس حياته لوطنه .. ثم انه لايريد أن يكون مثل « آى ــ كو » !

واسدل الستائر ، ووثب الى فراشه ، وسحب الاغطية الحريرية عليه ، واستغرق فى النوم



كانت الجمعية السرية بالجامعة ، تعقد جلساتها فى فصل اللغة الانجليزية فى الاوقات التى لا يكون فيها طلبة الفصل مجتمعين للدراسة ، وكان فصل اللغة الانجليزية يقع فى مبنى صغير منعزل عن بقية مبانى الكليات الاخرى ، وكان الاعضاء يكلفون زميلهم « بنج ــ ليو » بالوقوف عند باب المبنى للحراسة والمراقبة ، فاذا شاهد احدا مقبلا ، هتف بكلمة معينة يسمعها الجميع .. فيتفرقوا توا مسرعين الى أماكنهم المعتادة ، وكان الاختيار قد وقع على « بنج ــ ليو » للمراقبة ، لان وجهه الدميم كان ينم عن البلاهة الظاهرية التى تغلف عقلية ماكرة !

وكان الاعضاء قد اطلقوا على جمعيتهم اسم « جمعية الوطنيين الاحرار » وذلك لان الحكومة كانت تعدم كل من ينضم الى جمعية ذات مبادىء شيوعية ، ولكن لم يكن فى وسعها أن تعدم أعضاء جمعية

تسمى « جمعية الوطنيين الاحرار » . وقد قال « اين ــ لان » ذات يوم « لآى ــ وان » ، وهو يرسم على وجهه ابتسامة عريضة :

ــ انهم لا نجرءون على اعدام الوطنيين، ولكن عندما يحين الوقت المناسب سوف نجرؤ نحن على اعدام خصومنا جميعا !

وفى مكان الاجتماع : كان « آى ــ وان » يعرف جميع اعضاء الجمعية الثلاثة والعشرين الذين كان بينهم سبع فتيات .. كان يعرفهم بوجوههم واسمائهم فقط . أما عن ظروف حياة كل منهم . فكان لا يكاد يعرف شيئا فيما عدا « اين ــ لان » و« بنج ــ ليو » .. لم يكن يعرف ان كان الباقون من اسرات غنية او فقيرة ، من طبقة خاصة او عامة . وكان عدد الاعضاء ، عندما انضم « آى ــ وان » للجمعية ، لا يزيد عن احد عشر عضوا ، وظل هذا العدد يزداد على مر الشهور ، كلما انضم عضو جديد يزكيه عضو قديم ، وكان « اين ــ لان » هو الذى زكاه عند انضمامه الى الجمعية

وكان قد التقى بـ « اين ــ لان » عند التحاقه بالجامعة مباشرة، وحدثه « اين ــ لان » عن الجمعية ، واعرب عن استعداده لتزكيته للانضمام اليها اذا شاء ، وقد قال له « آى ــ وان » عندئذ :

ــ كيف تزكينى وانت لا تكاد تعرف عنى الا اننى ابن واحد من اكبر الاثرياء فى المدينة ؟

وعندئذ اجاب « اين ــ لان » قائلا :

ــ اننى اعرفك ، واعرف ماذا فعلت من اجلى حين اخرجتنى من السجن

ــ الا يهمك ابن من انا ؟

ــ وماذا يهمنى من امر ابيك ، ما دمت اعرف انك انسان يمكن الاعتماد عليه فى الخطير من الامور ؟

وحرص « آى ــ وان » بعد انضمامه للجمعية على أن يبدو مشعث الشعر ، بالى الثياب .. وكان يبتهج حين يرى مزقا فى ثوبه ، او زرا ناقصا ؛ بل لقد اسرف فى هذا وخصص حلة قديمة بالية للذهاب الى الجامعة بها . وكان يخلعها بمجرد عودته ، ويرتدى غيرها قبل ان يقوم بجولته التقليدية على افراد الاسرة الكبار !

وقد سأل « اين ــ لان » ذات يوم قائلا :

ـــ انك لم تخبرني بالسبب الذى دفع بك الى السجن يا « اين ـ لان » ؟ . .

وصمت « أين ـــ لان » برهة ، ثم قال :

ـــ سوف أكتب لك الاسباب فى مجموعة من الصفحات . .

وكان المعروف عن « اين ـــ لان » انه اقدر فى التعبير عن ذات نفسه بالكتابة منه بالحديث ، وهكذا عاد بعد أيام قليلة بمجموعة من الاوراق المكتوبة التى دفع بها الى « آى ـــ وان » قائلاً :

ـــ اقرأ هذه . . ثم احرقها !

وفى تلك الليلة ، انفرد « آى ـــ وان » فى غرفته ، وراح يقرأ الصفحات الكثيرة التى أفرغ فيها « اين ـــ لان » كل خلجة من خلجات نفسه . .

كانت الكلمات تنبض امام عينى «آى ـــ وان» بالصدق والصراحة والاخلاص ، وكان قلبه ينتفض بالانفعال ، وهو يقرأ عن كيف عاش « اين ـــ لان » طفولته البائسة فى قرية نائية على حدود صحراء وتلال جوبا فى جنوبى الصين ، وكيف كان اهل القرية البؤساء ينوءون تحت عبء الفقر والضرائب والظلم الاجتماعى ، وكيف كانت المجاعات تعصف بهم فيضطرون الى اكل اوراق الشجر والحشرات والحيوانات، وكيف قرر ابواه ان يبعثا به الى شنغهاى ليتم تعليمه العالى ؛ ثم يعود الى القرية رجلا عظيما . . وكيف تعهد سكان القرية جميعهم على ان يعاونوا ابويه لتحقيق هذا الامل الكبير ، على اعتبار انه أول فرد فى القرية يتم تعليمه العالى ، وكيف سافر الى شنغهاى والتحق بعمل شاق مرهق لكى يقيم أوده ويدفع نفقات التعليم ، وكيف تفوق على اقرانه فى الكتابة باللغة الانجليزية ، مما جعل المس متلاند ـــ أستاذة اللغة الانجليزية ـــ ترعاه وتتعهده ، ثم تطلب منه أن يكتب مقالا يدخل به مسابقة الشباب الجامعى ، وكيف كتب المقال بعصارة دمه ومشاعره ، فذكر فيه آماله كشاب وطنى ، وآلامه وهو يرى بلاده تنوء تحت نير الفقر والظلم الاجتماعى ، وكيف ان الحكومة غضبت عليه حين نشر المقال فى الصحيفة الانجليزية بشنغهاى ـــ بعد ان نال الجائزة الاولى ـــ وكيف اعتبرت الحكومة ان المقال عرض الشعب الصينى لسخرية الاجانب ، فقبض عليه فى الجامعة ، واودع السجن

حيث ظل ثلاثة وسبعين يوما ، وهو يتوقع الاعدام فى كل يوم ، ولكن زنزانة السجن كانت تمتلىء فى الليل ، ثم تخلو فى الصباح ، دون ان يأتى عليه الدور حتى ايقن اخيرا ان السلطات المسئولة قد نسيت امره تماما ، ثم كيف رأى «آى ــ وان» وهو يدخل الزنزانة ذات يوم بملابسه الحريرية الفاخرة مقبوضا عليه ، وكيف تم الافراج عنه على يديه !

وبعد ان فرغ «آى ــ وان» من قراءة الصفحات ، احس بالدموع تطفر من قلبه الى عينيه ، وعز عليه أن يحرقها .. فنهض وطواها بعناية ووضعها فى درج تحت مجموعة من الكتب القديمة التى كان جده قد اعطاها له ، والتى لم يجد الوقت الكافى ليقرأ منها شيئا ..

وظل طيلة تلك الليلة ، وهو يتقلب فى فراشه مسهدا يفكر فيما قرأ .. لقد أعطاه « اين ــ لان » قطعة من نفسه ! فماذا يمكن ان يعطيه هو نظيرا لها ؟ .. واخيرا قرر أن يكون اخا له بالدماء ..

ولما رآه فى اليوم التالى ، لم يحدثه عما قرأ ، وانما وجد « اين ــ لان » ينظر اليه فى حياء وخجل .. ومن ثم قال له :

ــ هل تقبل أن تكون اخى بالدم ؟

وهنا زالت سمات الحياء والخجل من عينى «اين ــ لان » وقال:

ــ نعم اقبل ...

وذهبا معا الى غرفة « اين ــ لان » ، وبعد أن قاما بالمراسم التقليدية القديمة ، جرح كل منهما ذراعه .. ومزجا دماءهما بعضها ببعض ، وتصافحا وهما يقسمان على الولاء والاخاء الابدى ..

خطر هذا كله بذهن « آى ــ وان » عندما وقف « اين ــ لان » فى ذلك الاجتماع الذى عقد بالفصل المخصص للغة الانجليزية ، وراح يقول :

ــ لقد صدرت الينا الاوامر بتنظيم الحركة الشعبية بين عمال مصانع الحرير فى جنوبى المدينة ، والاوامر تقول ان جمعيتنا هذه ستكون مسئولة عن تنظيم عمال هذه المصانع ..

ثم اردف قائلا ، وهو يشير الى « آى ــ وان » :

ــ عليك ان تتولى شئون احد هذه المصانع من هنا يا «آى ــ وان» لان لديك القدرة المالية التى تمكنك من الانتقال اليها أو منها .. وهى

مصانع تاتوان ، اما الذين سيذهبون على اقدامهم ، فسيكلفون بمصانع الحرب

وراح بعد ذلك ، يشرح مهمة كل واحد من افراد الجمعية ، ولما اوشك ان ينتهي .. اذا بالرقيب « بنج ـ ليو » يندفع الى مكان الاجتماع هاتفا :

ـ تفرقوا بسرعة .. فاني ارى اشخاصا مندفعين نحونا ..!

وتفرق الجميع بسرعة خاطفة .. ولكن « آى ـ وان » لاحظ ان « بنج ـ ليو » ظل واقفا في مكانه ، وكأنما ينتظر شخصا معينا ، واخيرا تحول من مكانه ، وانضم اليهم باسما بقول انه اخطأ في تحذيره ، وان الاشخاص الذين حسبهم مقبلين نحو قاعة الاجتماع ، لم يكونوا غير جماعة من النجارين الذين جاءوا لاصلاح بعض الابواب ..

واستأنف الاعضاء اجتماعهم ، وقد نسوا امر « بنج ـ ليو » ، لانه كان من الشخصيات التى لا تعلق بذاكرة أحد



الفصل الثالث

حياة أخرى

وبدأ « آى ــ وان » حياة اخرى ــ فى الواقع ــ منذ ذلك اليوم ..

كان يذهب الى مصانع الحرير فى اقصى الجنوب من المدينة ــ سيرا على قدميه ــ حتى لا يبدو مترفا أمام العمال . وكان دائما يقول لنفسه : انه كلما بدا فقيرا أمام اخوانه وزملائه ، كان ذلك أفضل واجدى . وكان يذهب اليهم فى ملابس العمال، ويختلط بهم، ويتحدث معهم ، ويعقد أواصر المعرفة الوطيدة بينهم ، ويتردد على اكواخهم القائمة فى مناطق نائية عن المصانع ، ويتحمل الروائح الكريهة المنبعثة من هذه الاكواخ ، ومن المصانع على حد سواء .. لان مصانع الحرير كانت تخمر شرانق ديدان القز ، مما يجعل روائح النتن تملأ الجو ليلا ونهارا !

وقد حدث فى اليوم الاول ، ان رأى النساء والفتيات يعدن الى الاكواخ من المصنع ، وقد بدت أيديهن حمراء دامية متورمة ، ذات منظر يثير فى النفس التقزز والنفور . فلما سأل عن سبب هذا ، قيل له أن على هؤلاء النساء والفتيات ان يلتقطن شرانق الديدان من الماء المغلى ليبحثن عن أول الخيط الحريرى ، وكانت طبيعة العمل تحتم عليهن ان يفعلن هذا قبل ان يبرد الماء ..

ولما عاد الى قصر ابيه فى تلك الليلة ، قال لبيونى :

ــ دعينى اشم رائحة يديك ..

فمسحت بكفيها العاطرتين الناعمتين على خديه وعينيه ، وعندئذ قال مغمغما :

ــ ان لهما رائحة زكية حلوة ..

فوضعت كفها اليمنى على فمه ، وبقيا هكذا برهة بلا حديث او

حركة ، وكان هو مستمتعا بملامسة البشرة العاطرة الناعمة ، واخيرا همهم قائلا :

ـ انها كالزهرة الزكية الشذى ...

ورغم هذا ، كان يدرك فى اعماق نفسه انه لا يحب بيونى ... وانه لم يحبها يوما ، وانه لن يحبها أبدا .. رغم تلك الاحساسات المجيبة التى تشيع الحرارة فى دمائه بين الحين والاخر ، وتحاول ان تدفعه الى انياخذها بين ذراعيه . ولكنهذا الشعور بعدمالحب لم يكن يمنعه من الاحساس بانها فتاة .. وفتاة جميلة ، عاطرة اليدين ، ناعمة البشرة

وفجأة أفاق لنفسه ، وقد تذكر انه ليس ثمة مجال فى قلبه لاية فتاة ، سواء لبيونى أو لغيرها ، وان مشاعره كلها ينبغى ان تتركز لخدمة وطنه

ولكن كيف يمكن لبيونى ان تفهم هذه الحقيقة ؟ كيف يمكن لها ان تدرك إن موقفه السلبى من عواطفها الجامحة نحوه يرجع الى تكريس حياته بكل ما فيها من مشاعر صادقة لخدمة وطنه ؟

ومالت اليه برفق ، وسمح هو لها بذلك .. وشعر بقلبهاالصغير يخفق على كتفه أثناء جلوسه الى مكتبه يستذكر دروسه . ولكنه لم يلبس ان نسيها ، ونسى كل شىء غيرها ، فيما عدا اولئك العمال الذين عهد اليه بنشر روح المقاومة ضد الظلم فى نفوسهم .. ان هؤلاء العمال كانوا يمثلون فى نظره الواقع بكل ما فيه من آلام ومرارة .. اما بيونى ـ بيدها العاطرة ـ فلأى شىء كانت ترمز ؟!

وسالته بيونى قائلة :

ـ الن تأوى الى فراشك الان ؟

وكانت قد اعدت له صحفة الشاى باوانيها الفضية المذهبة ، واوانيها الممتلئة بالحلوى والرقائق ، لكى يتناول منها ما يشاء قبل ان ينام

ـ لا .. ليس الآن

فقالت معاتبة :

ـ لماذا تجهد نفسك هكذا ؟ انك فى غير حاجة الى العمل ، لانك لست ابن رجل فقير !

نهز كتفيه ، وهمس .

ـ انني اسهر لاني لا استطيع ان انام مبكرا ، وعدم استطاعتي النوم مبكرا يرجع الى انى لست ابن رجل فقير ..

وفجاة اردف قائلا :

ـ انصرف الان ..

وفي هذه المرة ، انصرفت فورا دون ان تمادى في معابثته ، او تلكا لمداعبته . ونهض هو ، ووقف الى النافذة ، وراح يتطلع في سكون الليل الى حديقة القصر الواسعة التى كانت جداولها تتالق في ضوء القمر ، والى معابرها الجميلة الانيقة القائمة فوق الجداول، والى طرقاتها المفروشة بالحصباء الملونة . والى خمائلها التى تظلل مغانى للجلوس والسمر ، والى القوارب الصغيرة ، الشراعية والبخارية ، الراسية في بحيرتها الصناعية الواسعة

وتنهد اخيرا وقال وهو ينظر الى الاسوار العالية المحيطة بهذا كله :

ـ هذه هي حياتي .. حياة مغلقة ، داخل قصر تحيط به الاسوار العالية !



واستمر في اتصالاته بعمال مصانع الحرير في جنوبى المدينة . وكانت المجاعات ، والحروب الاهلية ، ومواسم الجفاف والقحط ، قد دفعت بالملايين من سكان المناطق الداخلية الى الهجرة نحو المدن الساحلية ، لا سيما شنغهاى ، وكانت كثرتهم ، وتسابقهم الى الحصول على الاعمال باى اجر . قد جعل اجورهم تهبط الى اقل مستوى ممكن للاجور

وبين هؤلاء العمال ، كان « آى ـ وان » يحاول ان يبثر روح المقاومة على الظلم ، والكفاح في سبيل ابسط الحقوق الانسانية . وقد استطاع ان يغرى ثمانية عشر شابا منهم بالاقبال على التمرينات العسكرية وكان هو قد تلقى علومه العسكرية داخل حديقة قصر ابيه ، على يد ضابط المانى متقاعد . وقد علمه ذلك الضابط الكثير من الفنون العسكرية الالمانية حتى « مشية الاوزة » التى اشتهر بها الشباب الالمانى في جميع انحاء العالم . وكان يقول

لهم ألناه التدريبات ، كلما راى رءوسهم منكسة :

ــ ارفعوا رءوسكم .. فسوف يأتى اليوم الذى تحاربون فيه من اجل حياتكم

ولقد حدث فى احد الاجتماعات العامة خارج المدينة ، ان قال رجل كهل من العمال لـ « آى ــ وان » بعد ان فرغ هذا من حديثه الطويل :

ــ لقد فهمنا الان اننا كالمستجيرين من الرمضاء بالنار !

وكان « آى ــ وان » فى ذلك الاجتماع يحدثهم عن وجوب التخلص من روابط الاسرة ، والتحلل من وشائج الدم ، وان المواطن المخلص يجب ان يكرس حياته لخدمة المجتمع حتى لو ضحى فى هذا السبيل بابنائه وآبائه

ولما سمع « آى ــ وان » عبارة ذلك العامل الكهل ، قرر ان يركز نشاطه وجهده بين العمال الشبان

وكان ــ بناء على نصائح « ابن ــ لان » ــ يحمل الى هؤلاء العمال الحلوى والفطائر ، كلما اراد ان يقنعهم بآراء جديدة .. ذلك انه اكتشف انهم يحسنون الاصغاء اليه ، كلما امتلأت بطونهم باطايب الطعام ..

الا انه كان يقف ــ فى احيان كثيرة ــ مدهوشا امام قوة حججهم .. فمثلا حاول ذات يوم ان يثيرهم بالغضب ــ عندما علم بتفاهة الاجور التى يتقاضونها ــ فهتف فى غضبة قائلا :

ــ ان ذلك كله سوف يتغير ..

وهنا انبرى له احدهم ، وقال :

ــ كيف يمكن هذا ، ما دام اصحاب المصانع يجدون عمالا مستعدين للعمل باقل من اجورنا الحالية ؟

وقد صاح بهم فى مرة اخرى :

ــ ان كل واحد منكم لا يقل عن اى انسان آخر ، مهما يكن شانه، وان من حقكم ان تكونوا كغيركم من الناس

فضحك كثير منهم عندئذ ، وقالوا له :

ــ انك تقول هذا لانك انسان لطيف .. اما الحقيقة ، فهى انه لابد ان يختلف الناس بعضهم من بعض ، كما تختلف حظوظ بعضهم

عن حظوظ البعض الاخر

وفى مرة ثالثة قال لهم :

ــ سوف نرغم الاغنياء على ان يفتحوا لكم ابواب قصورهم !

وكان فى قرارة نفسه يقصد قصر ابيه .. وقد رد احدهم عليه قائلا فى سخرية :

ــ وهل ثمة قصور الاغنياء تكفى لايواء الملايين منا ؟

ورد آخر :

ــ ومتى سيكون هذا ؟

ــ قريبا .. قريبا جدا ..

ولم يكن « آى ــ وان » يعرف متى سيكون هذا ، بل لم يكن يعرف الا انه عضو فى جمعية من عشرات الجمعيات المماثلة التى تحركها اياد خفية لا يعلم عنها شيئا . وانما كان يتلقى تعليماته من « اين ــ لان » . اما من اين يتلقى « اين ــ لان » التعليمات فهذا ما لم يكن يعرفه !

وقد ذهب فى احدى ليالى الشتاء الباردة ــ بعد ان فرغ من تدريبات كتيبته العمالية ــ الى الغرفة الصغيرة التى يسكنها « اين ــ لان » ليتبادل معه الحديث . وقد وجده يقرأ ورقة مليئة بالكلمات الصغيرة الدقيقة ، فلما شاهده « اين ــ لان » ، طلب منه ان يجلس ريثما يفرغ من قراءة الورقة ..

وبعد ان فرغ من القراءة ، احرق الورقة ، ثم قال « لآى ــ وان »

ــ لماذا تبدو عليك سمات الكآبة يا صديقى ؟

فقال « آى ــ وان » :

ــ هل يمكن ان نتجول قليلا فى الخارج ؟

وادرك « اين ــ لان » انه يريد ان يتحدث معه حديثا سياسيا ، وكان الراى قد استقر بين اعضاء الجمعية على الا يتبادلوا الاحاديث السياسية بين الجدران الا فى الاجتماعات الخاصة ..

ولما وصلا الى شارع مظلم هادىء ، قال « آى ــ وان » :

ــ متى سيكون اليوم المنتظر ؟

ــ لن يتجاوز آخر الشهر الثالث من بدء العام الجديد .. ان الورقة التى كنت اقراها فى غرفتى قبل ان احرقها كانت تحمل

انباء جديدة عن انتصارات «شيانج ــ كاى ــ تشيك» ، وعن اليوم المنتظر

وبعد ان سارا برهة فى صمت ، قال « آى ــ وان » :

ــ كيف استطيع ان اقنع رجالى بان كلا منهم انسان له قيمته؟ انهم يؤمنون بان هذا هو نصيبهم من الدنيا ، وانه لا يجوز معاندة الاقدار والتمرد عليها ، وبأنه ما دامت الاقدار قد حكمت عليهم بالفقر ، فلابد لهم ان يستسلموا ، بل انني لم استطع حتى ان اجعلهم يكرهون الاغنياء . انهم يقولون لى ببساطة : « هكذا شاءت الاقدار ان تجعل الناس فى هذه الحياة الدنيا ، بعضهم اغنياء ، وبعضهم فقراء » ..

وانتظر « آى ــ وان » ان يسمع ضحكة « اين ــ لان » ولكن هذا نال فى حزم وبكلمات حادة :

ــ هذه هى المشكلة المعقدة يا « آى ــ وان » . ان الاغنياء ليسوا مشكلة فى نظرنا لان فى الامكان القضاء عليهم ونهب ممتلكاتهم . ولكن المصيبة الكبرى هى اولئك الفقراء الذين ولدوا وعاشوا فقراء، ليس فى مقدورهم ان يأملوا فى حياة افضل .. ان عليك ان تضع بين ايديهم شيئا « طعاما ، مالا ، عقارا » حتى تستطيع ان تقنعهم بأن فى الامكان ان يكون لديهم شيء . وعيبك يا « آى ــ وان » ،انك انسان مثالى . ولولا هذا لادركت ان الفقراء ليسوا خيرا من الاغنياء .. .

فقال « آى ــ وان » مدهوشا :

ــ اذن لماذا نكافح من اجلهم ؟

فضحك « اين ــ لان » عندئذ ، وقال :

ــ سوف اخبرك فيما بعد .. اما الان فهل تظن ان اى واحد منهم لو كان يمتلك شيئا له قيمته ، يرضى ان يشرك فيه احدا آخر بلا مقابل ؟ طبعا لا .. بل هناك ما هو اسوا من هذا . ان الفقير المعدم اشد ضراوة من الغنى ! لان الغنى لم يكن فى يوم من الايام اقرب الى الحيوان منه الى الانسان . وعليك من ثم ان تعد نفسك لاشياء كثيرة رهيبة يا « آى ــ وان » عندما يحل اليوم المنتظر

فهمس « آى ــ وان » قائلا :

ــ لماذا ؟

ــ لأن هؤلاء الذين نكافح من أجلهم سيكونون أشد وحشية من الوحوش البرية ، عندما نقول لهم ان المدينة قد اصبحت ملكا لهم .. انهم لن يقتلوا الاغنياء فقط ، وانما سيقتلون بعضهم بعضا أيضا ، بل ان الكثير جدا مما يريدون اخذه والاستيلاء عليه ، سوف يتحطم ويضيع اثناء المعركة . ان علينا ان نتركهم حتى تمر هذه الفترة القاسية ..

ــ وبعد ذلك ؟..

ــ بعد ذلك يأتى دورنا لكى نستعمل معهم القوة لفرض الطاعة والنظام

ــ القوة ؟ لقد كنت اظن ان كل انسان سيكون متمتعا بحريته عندئذ ؟

ــ حريته ؟!

قالها « اين ــ لان » بصوت اجش عنيف ، ثم أردف قائلا :

ــ ان مثل هذه الحرية تعتبر حماقة .. ليس هناك من هو حر فى حياته .. لا أنت ، ولا انا . اننا أجزاء فى آلة كبيرة ، وسيكونون هم ايضا كذلك .. رجل واحد فقط هو الذى يمكن ان يكون حرا ...

ــ من هو ...؟

« شيانج ــ كاى ــ تشيك » .. وعندما يصل الى هذه المدينة ، سيكون ذلك ايذانا بالعهد الجديد .. انه اليوم الذى ننتظره جميعا والذى سوف تتكتل فيه كل القوى للضربة الاخيرة



وفيما كان « آى ــ وان » يتسلل صاعدا الى غرفته الخاصة ، قال لنفسه وهو يتلفت حوله الى كل تحفة موجودة فى اركان القصر :

ــ هل سأهتم كثيرا عندما يأتى هؤلاء البؤساء وينهبون كل شىء منا ؟!

وقال لنفسه :

ــ لا اظن .. اننى لم اهتم يوما بكل ما فى هــذا القصر من كنوز ..

وقبل ان يصل الى غرفته ، سمع صوت نحيب يصدر عن غرفة اخيه « آى ــ كو » ، فأرهف أذنيه قليلا ، ثم هز كتفيه ، ودخل غرفته حيث وجد بيونى تضع صحفة الشاى بأدواتها الفضية المذهبة والانية المبطنة باللباد التى يوضع فيها ابريق الشاى لكى يظل ساخنا . .

وقال لها بعد ان تبادل معها التحية :

ــ سمعت اخى « آى ــ كو » يبكى فى غرفته ، فماذا حدث ؟

فالتمعت الفرحة فى عينى بيونى وقالت :

ــ لقد قررت الاسرة ان ترسله غدا الى المانيا ليدرس العلوم العسكرية

ــ عجبا ! لماذا ؟!

ــ لانه اختلس من البنك مبلغا من المال انفقه على الغوانى والاصدقاء

واومأ « آى ــ وان » برأسه ، وقال هامسا كأنما يحدث نفسه :

ــ هكذا « آى ــ كو » دائما . . لا يهمه شىء غير نفسه !

ثم اردف قائلا بصوت مسموع :

ــ يبدو انك مبتهجة جدا يا بيونى . . لماذا تكرهين « آى ــ كو » الى هذا الحد ؟

ــ اننى لا استطيع ان اخبرك ، ولا احب ان اخبرك . ولكن يكفى ان تعلم اننى عانيت هنا بسبب رغبات « آى ــ كو » ونزواته واستغلاله لظروفى كجارية !

ــ ولكننا لم نعاملك هنا كجارية يا بيونى !

فهتفت فى حماس وحرارة :

ــ لانك لم تكن تعرف كل الحقائق يا « آى ــ وان » . لم تكن تعرف ان والدتك طالما ارادت ان ترغمنى لارضاء رغبات «آى ــ كو» قائلة اننى مجرد جارية لا قيمة لها ، ولا يحق لها ان تعارض فى شىء . .

ــ اكانت امى تقول لك هذا ؟

ــ نعم . . وكثيرا ما فكرت فى الانتحار بالافيون . وقد اشتريت كمية [illegible]

ثم انخرطت فى بكاء حار ، واردفت قائلة بين شهقاتها :

ــ انى كثيرا ما اتساءل : « ما قيمة حياتى ؟ ولماذا اعيش ؟ انى لست خادمة لاعيش سعيدة بين الخادمات ، وانما جعلتم منى شيئا له قيمته ، ومع ذلك فانى محرومة من ابسط مظاهر الحرية التى يتمتع بها الخدم . لقد علمتمونى القراءة والكتابة ؛ ولعلكم تنتظرون منى ان أعترف لكم بالجميل .. كان يمكن أن أعترف بجميلكم ، لو كان لى الحق فى التصرف فى حياتى ، لو كان لى ان آمل فى حياة افضل . اما والامر ليس كذلك ، فقد كنت افضل لو انكم تركتمونى جاهلة لكى اظل على جهلى بما يجرى فى الحياة ، ولكى اتزوج رجلا فقيرا أعيش معه قانعة راضية بنصيبى من الحياة !

ثم صاحت قائلة بصوت تخنقه العبرات :

ــ انه ظلم .. ظلم فادح ان تفتح عينا إنسان على اشياء جميلة ثم تحرمه منها أو حتى من حق العمل فى سبيلها ..

وفى تلك اللحظة قرر « آى ــ وان » ان يصارح بيونى بالعمل السرى الذى يقوم به . وكان قد تردد من قبل كثيرا فى مصارحتها .. اما الان ، فقد راى ان الوقت المناسب قد حان !

وبعد أن حدثها عن الثورة ، وعن العهد الجديد المنتظر ، وعن الحرية التى سيتمتع بها الجميع ، وعن الغاء الرق وتوزيع الثروة، نظرت اليه برهة ، ثم ابتسمت وهزت كتفيها وقالت :

ــ اتريد منى ان أصدق ما تقول يا « آى ــ وان » ؟

ــ لماذا لا تصدقين يا بيونى ؟

ــ لأنى لا اصدق ان هناك اشخاصا يعملون ويكافحون من اجل غيرهم بلا مقابل ، لا شك ان القائمين بهذه الثورة كغيرهم من الناس .. لهم اغراضهم ومطامعهم الخاصة !

فقال « آى ــ وان » معاتبا :

ــ انك تقولين هذا لأنك لا تعرفينهم ، وتعرفين اشخاصا مثل أبى .. أشخاصا راسماليين .. !

ــ انى لا افهم ماذا تعنى بكلمة راسماليين !.. وانما افهم ان الرجل اذا كان ميسور الحال فانه لا يكره ان يعطى غيره شيئا مما لديه ، ولكن .. هل سمع أحد عن فقير ليس انانيا ؟ ان الفقراء

انانيون يحبون ان يكون كل شيء لهم دون غيرهم

فهنف « آى ــ وان » قائلا فى حنق شديد :

ــ ولكنك لم تفهمى شيئا .. انه لن يكون هناك اغنياء وفقراء

فضحكت رغم دموعها ، وقالت ساخرة :

ــ لا تكن ابله !..

ــ ليتنى لم اخبرك بشيء ..

وعندئذ اقتربت منه ، ومالت عليه ، وقالت وهى تضع كفها على خده :

ــ اطمئن .. اننى لن انسى ما قلت لى .. وانا عادة لا انسى شيئا مما تقوله لى . اننى اختزنه فى اعماق نفسى ، ثم اخرجه لافكر فيه حين اكون بمفردى . ولعل اهم شيء هو الا تدعهم يقبضون عليك ..

ــ اطمئنى من هذه الناحية ..

ــ وحسبى الآن انى فهمت .. فهمت لماذا تقف .. لماذا تتخذ هذا الموقف من .. منى !

ــ ماذا تعنين ؟!

وكانت عند الباب فى طريقها الى الانصراف ، حين اجابت وهى تبتسم :

ــ انك الآن ، كالراهب ..

ثم اسرعت بالخروج واغلقت الباب وراءها ..

٣٢

أمل ضائع

قبل الموعد المحدد للاضراب العام بيومين ، عقد « اين ــ لان » آخر اجتماع للجمعية قال فيه :

ــ لقد عرف كل منكم دوره .. ولهذا لا ينبغى ان نجتمع مرة اخرى ، لان رجال الشرطة يوالون مراقبتنا

وبعد الاجتماع ، سار « اين ــ لان » بجوار « آى ــ وان » وقال له :

ــ ان هذه الايام ، هى الايام الحاسمة .. وانى ارجو ان تكون على حذر شديد ، ولعلك لم تخبر احدا فى بيت ابيك بالأمر يا « آى ــ وان » ، لان حياتنا جميعا تعتمد على السرية المطلقة ..

ثم رفع عينيه النفاذتين فجاة الى وجه « آى ــ وان » ، وهز راسه قائلا :

ــ الواضح انك افشيت سرنا لشخص ما يا « آى ــ وان » .. ان وجهك برىء جدا ،ومعبر جدا .. صارحنى بالحقيقة ..

وصارحه « آى ــ وان » قائلا انه اخبر بيونى بكل شىء . ولشد ما فوجىء حين راى لأول مرة « اين ــ لان » غاضبا بصورة مفزعة، وهو يقول :

ــ هل تفشى سرنا لامراة ، وجارية ايضا ؟ هل هناك من هو احمق منك ؟

فقال « آى ــ وان » بحماس :

ــ ان بيونى كأختى تماما ، بل انها على استعداد لان تضحى بحياتها فى سبيلى . ويكفى ان تعلم انها .. انها .. تحبنى ..

ــ انها اولا ليست اختك .. ولعل اسوا ما فى الامر انها تحبك ،

لانها سوف تنتقم منك حين تعلم انك لا تبادلها الحب !

ــ ان بيونى ليست كهذا النوع من النساء ..

فصمت « اين ــ لان » برهة قبل ان يقول :

ــ حسنا .. لقد حدث ماحدث وانتهى الأمر . وانى الآن اريد ان ترتب لى مقابلة مع هذه الفتاة فى مكان ما حتى اتأكد انها ليست من النوع المنتقم

فتردد « آى ــ وان » برهة ، وقال :

ــ اعتقد انها سوف تأبى مقابلتك بدافع من الخجل والحياء

ــ وهل الجاريات يعرفن الحياء والخجل ؟

ــ اننا لا نعاملها كجارية ، وانما كواحدة من الاسرة

ــ حاول معها .. لا تنس ان حياتنا جميعا اصبحت معلقة بكلمة منها ..

والواقع ان « آين ــ لان » كان محقا فى خوفه وحذره ، لانه لم يكن يمضى يوم دون ان يقبض رجال المباحث العامة على عشرات من النساء والرجال والطلبة ، ويودعوهم السجن لكى يعدموا بعد محاكمة سريعة

وقال « آى ــ وان » :

ــ ساحاول ..

وبعد يومين ، اعلن الاضراب العام ، وكان « آى ــ وان » يتناول افطاره مع افراد الاسرة ، حين راى اباه يلقى بصحيفة الصباح فى غضب ويقول :

ــ لقد اضرب العمال اخيرا بطريقة جماعية منظمة ، ثلثمائة عامل فى مصانع حربر « تاتوان » ، واربعمائة وخمسة وعشرون عاملا فى مصانع « لنج ــ آى » ، وفى مصانع « سانج ــ رين » ..

ثم ضرب المائدة بقبضة يده ، واردف قائلا :

ــ ان لنا اموالا طائلة مستثمرة فى كل هذه المصانع .. اننى لا ادرى كيف تسمح الحكومة بمثل هذا العبث !

وقال الجد :

ــ كان ينبغى على الحكومة ان تضرب بيد من حديد على هؤلاء العابثين !

وقالت والدة « آى ـ وان » :

ـ ما هى هذه الشيوعية ؟.. اننى لم اسمع بها من قبل ، اهى ديانة اجنبية جديدة ؟!

وقال الوالد وهو ينهض :

ـ يجب ان اسرع الى البنك الآن لارى ماذا ينبغى ان نتخذه من اجراءات . واعتقد ان الامور سوف تصلح عندما ياتى « شيانج كاى ـ تشيك »

وهنا نظر « اى ـ وان » الى ابيه فى سرعة ودهشة ، وقال :

ـ ماذا تعنى يا ابى ؟..

فضحك الوالد بصوت اجش ، وقال :

ـ لا شان لك بمثل هذه الأمور الخطيرة ..

ولم يستطع « آى ـ وان » بعد انصراف والده ، ان يخلو ببيونى لكى يطلب منها مقابلة « اين ـ لان » فى ذلك اليوم



وكان يعلم ان الاضراب سوف يستمر واحدا وعشرين يوما ، وان « شيانج ـ كاى ـ تشيك » سوف يصل فى نهاية اليوم الحادى والعشرين ليتسلم زمام الحكم بالمدينة . وكان « آى ـ وان » يعلم كذلك ان العمال المضربين يتقاضون اجورهم من مصادر سرية مما جعلهم غير مهتمين كثيرا بالعودة الى العمل . وكان يراهم يتسكعون فى الطرقات ، وحول المصانع المغلقة ، وفى المقاهى ، ويترددون على دور السينما ، وعلى متاجر الحلوى ، وكلما طلب من كتيبته البالغ عددها ستة وثمانون شابا وفتاة ان تجتمع فى المكان الخلوى السرى ، لم يجد غير افراد قلائل يحضرون الاجتماع لكى ينصرفوا متعجلين . وكان اذا سأل عن سبب تخلف الباقين يسمع هذه الاجابة دائما :

ـ اننا نستمتع فى هذه الايام بما لم نستمتع به من قبل .. اننا نرى من معالم المدينة وملاهيها ما لم نره يوما ما ..

ثم يأخذ كل واحد منهم يحكى ما رآه ، وما استمتع به فى تلك الايام ..

• قال « آى ـ وان » لـ « اين ـ لان » ذات يوم :

ــ يبدو ان العمال جميعا نسوا الهدف الحقيقى من الاضراب

فضحك « اين ــ لان » وقال :

ــ الم اقل لك انك انسان مثالى ، وانك لا تعرف من حقائق الحياة شيئا ! اتظن ان هؤلاء الناس الذين عاشوا حياتهم فى عمل متصل يتركون هذه الفرصة السانحة دون أن يلعبوا ويتسكعوا ، دعهم يلعبون .. ان اليوم الموعود سيكون بمثابة الاعصار الذى سيدمر كل شيء ، وبعدها نبدأ نحن فى التنظيم والترتيب . ماذا فعلت مع تلك الفتاة ؟

ــ لم اجد الفرصة المناسبة لاحدثها فى الامر ..

ــ حاول .. حاول .. لا تكف عن المحاولة !

وكان « آى ــ وان » يشعر ان بيونى ــ على غير عادتها ــ تتجنب الانفراد معه .. ولكنه استطاع فى تلك الليلة ان يقول لها هامسا حين التقى بها على السلم اثناء صعوده الى غرفته :

ــ اننى فى انتظارك يا بيونى ، تعالى فورا ..

ولما جاءت ، اخبرها برغبة « اين ــ لان » فى مقابلتها .. ثم طلب منها أن تحدد المكان والزمان للمقابلة ، وعندئذ نظرت اليه بطرف عينيها ، وقالت :

ــ لماذا لا تدعوه ليتناول معك الشاى هنا ؟

ولم يجب « آى ــ وان » .. انه لم يفكر يوما فى ان يدعو « اين ــ لان » الى القصر ، خشية ان يرى مظاهر هذه الحياة المترفة التى يحياها أحد اعضاء الجمعية . وهذا ماجعله يرفض ان يصحب « بنج ــ ليو » معه الى داخل القصر . ولكن : هل يمكن ان يكون « اين ــ لان » حقير النفس ، وضيعا مثل « بنج ــ ليو » ؟ لا .. لا يمكن هذا .. ان « بنج ــ ليو » شخصية وضيعة تافهة مكروهة من الجميع .. ولعل « اين ــ لان » لم يحاول ان يطرده من الجمعية لانه احقر من ان يستحق الطرد . والعجيب ان كلا منهما ينتمى الى والد فقير .. ولكن شتان بين « ابن ــ لآن » الذكى القوى المحبوب ، وبين « بنج ــ ليو » الحقير المكروه ، الا ان هذا ايضا ملموس بين ابناء الاغنياء .. فان «آى ــكو» ــ كما يعرف ــ انسان بغيض مكروه من الجميع ، رغم انه ابن رجل موفور الثراء!

اذن ليس للفقر او الثراء شأن بما عليه النفوس من وضاعة وسمو ..

وافاق من تفكيره على صوت بيونى ، وهى تقول :

ـ انك لم تخبرنى اذا كان « اين ـ لان » هذا وسيما ام لا ؟

ـ لست أدرى .. !

ثم قال لنفسه : « لقد اخطأت حقا فى افشاء السر لها »

وقالت هي :

ـ حسنا ! سوف ارى بنفسى ..!

ثم انصرفت ، وهى تغنى لنفسها بصوت خافت ..!



وفى الموعد المحدد من مساء اليوم التالى ، صحب « آى ـ وان » صديقه « اين ـ لان » الى القصر ، ودخل معه الى الحديقة من بابها الخلفى الصغير الذى كان يحمل معه مفتاحا له ، وما كاد « اين ـ لان » يجد نفسه فى الحديقة الفاخرة حتى راح يتلفت حوله مدهوشا زائغ العينين . ولما وصلا الى السلم الخلفى الذى كان مفروشا ايضا بأفخر انواع السجاد ، قال « اين ـ لان » مترددا .

ـ هل سنمشى على هذا السجاد الفاخر ؟

ـ اجل ..!

ـ اننى اتمنى لو استطعت يوما ان انام تحته !

وفى غرفة « آى ـ وان » الخاصة ، وقف « اين ـ لان » على طرف السجادة الفاخرة التى تغطى الجانب الاكبر من أرضيتها المصقولة ، وتلفت حوله فى ذهول ، ثم قال بعد ان اغلق «آى ـ وان» الباب :

ـ اهذا هو المكان الذى تغادره كل يوم فى طريقك الينا ؟

ـ اجل ؟ ماذا به ؟..

ـ ان هذه الغرفة وحدها اكثر اتساعا من بيت ابى كله فى القرية..

وبعد ان تأمل ما فى الغرفة من تحف وروائع ومفروشات حريرية مطرزة بالذهب ، قال وهو ينظر مرة أخرى الى السجادة :

ـ كم تساوى هذه ؟

ـ اننى لا ادرى .. فأنا لم اشتر شيئا فى هذا القصر ، وانما

نشأت فوجدته على هذا النحو ..

وقال « اين ــ لان » بعد أن خلع معطفه وقلنسوته :

ــ اهذا سريرك ؟

ــ اجل ..

ــ انني لم أر في حياتي شيئا كهذا .. ان الغطاء الحريري وحده يساوي ثروة كاملة .. وما هذه ؟

ــ ستائر لتحجب الشمس .. ولكن اسمع يا « اين ــ لان » .. انني لست مسئولا عن شيء مما ترى ، لقد نشأت فوجدت كل شيء فيه كما هو الآن

فقال « اين ــ لان » وهو يجلس على مقعد صغير :

ــ انني لا الومك يا « آي ــ وان » ، وانما اقول لك في صراحة انني لو كنت نشأت في مثل هذا القصر لما انضممت الى جمعيتنا .. ان لديك الآن كل ما تكافح في سبيل الحصول عليه . انني يا « آي ــ وان » اقدرك واعترف انك افضل منا جميعا !



واقبلت بيوني تحمل صحفة الشاي مع آنية مليئة بالفطائر والحلوى ، وبعد ان وضعت كل شيء على منضدة صغيرة ، قالت باسمة :

ــ لقد اعددت هذه الفطائر بنفسي ، وانا ارجو ان تنال اعجابكما .!

وقال « آي ــ وان » :

ــ شكرا يا بيوني .. هذا هو صديقي « اين ــ لان » . وهذه هي بيوني التي حدثتك عنها ..

وعندئذ نهض « اين ــ لان » واقفا ، وراح يدير قلنسوته بين يديه في شيء من الارتباك . ولكن بيوني بادرت تقول :

ــ لا داعي لأن تقف تحية لي يا مستر « اين ــ لان » . انني لست واحدة من افراد الاسرة ، وانما انا جارية ..!

ــ ومن اكون انا ؟ ما انا الا ابن فلاح فقير لا يكاد يجد ما يقيم اوده ..

وراح كل منهما ينظر الى الآخر ، بينما وقف « آي ــ وان » بالقرب منهما ، وهو يشعر كأنه غريب عنهما تماما ..

وقالت بيونى اخيرا :

ـ اكنت تظن انى سافشى سر الجمعية ؟ لا .. ان هذا لن يحدث منى اطلاقا ..

فقال « اين ـ لان » ببطء :

ـ اننى لم اكن اعرفك .. اما الآن ، فانى مطمئن ..

وافاقت بيونى الى حقيقة مكانتهـــا فى القصر ، فالتفتت الى « آى ـ وان » وقالت فى لهجة اعتذار :

ـ آه .. تفضلا بالجلوس قبل ان يبرد الشاى

وقال « اين ـ لان » فى مرح :

ـ وانت ؟

وفوجئت بيونى بهذا السؤال ، كما فوجىء به « آى ـ وان » اذ انه لم يخطر ببال احدهما ، طيلة حياتهما ، انه يمكن أن تجلس الجارية الى مائدة واحدة مع سيدها . ومرة أخرى افاقت بيونى من ذهولها ، وقالت :

ـ اوه .. أن مهمتى هى ان اخدم ، لا أن اجلس مع السادة..

فقال « اين ـ لان » بحماس :

ـ اذا لم تجلسى ، فلن اجلس انا ايضا . وعندما تقوم الثورة ، فلن يكون هناك اناس يخدمون ، واناس يجلســـون . اليس كذلك يا « آى ـ وان » .. سنكون جميعا متساوين !

وابتسم « آى ـ وان » وقال :

ـ اجل ، اجل .. اجلسى معنا يا بيونى ..

ولما ترددت ، مضى الى الباب فاغلقه بالمفتاح من الداخل ، وقال آمرا :

ـ اجلسى ..

وجلست ، ثم قالت « لاين ـ لان » وهم يتنـــاولون الشـــاى والحلوى :

ـ حدثنى عن هذه الثورة ..

واخذ « اين ـ لان » يحدثها ، واخذت هى تنصت اليه مبهورة الانفاس . ولما انتهى قالت :

ـ الآن قد اصبحت واحدة منكم ..

وبعد انصراف « اين ـ لان » قالت هى « لآى ـ وان » :

ـ انك لم تحدثنى عن هـــذه الامور الضخمة كما حـــدثنى صاحبك ..

فابتسم وقال :

ـ لانه احد الدعاة المتخصصين لهذه الامور ..

ـ ولكنه كان ياكل كحيوان لم ياكل منذ أيام .. !

ـ اسمعى .. انى اريد ان اتحدث معك على انفراد قبل ان انام

فقالت ، وهى تنصرف :

ـ لا .. لن استطيع هذه الليلة ..



واقترب اليوم المنتظر ، وانتشرت الاخبار ان « شيانج ــ كاى ــ تشيك » سوف يصل الى المدينة فى اية لحظة بعد سلسلةانتصاراته الاخيرة ، وتحدد اليوم الذى قرر فيه أعضاء الجمعيات السرية ان يتركوا اسراتهم فى الصباح الباكر لينضموا الى الجيش المظفــر الزاحف على المدينة . وفى الليلة التى سيشرق فى صباحها ذلك اليوم المشهود ، انفرد « آى ــ وان » ببيونى فى غرفته ، وقال لها هامســا :

ـ اننى سانصرف فى الفجر عن هذا القصر .. وربما لن أعود اليه مرة اخرى !.. ان التعليمات التى لدى تحتم الا ابذل أى مجهود لانقاذ أسرتى ، ولكن نفسى لا تطاوعنى . اننى لا استطيع ان اترك الثوار يقتحمون القصر ويذبحون ابى وامى وكل افــــراد الاسرة . ان عليك يا بيونى ان تخبرى ابى بالامر بعد انصرافى ، واعتقد أن الفرصة سوف تسنح له وللاسرة بالهروب قبــــل أن يضرب الثوار ضربتهم فى تمام الساعة الثانية عشرة ظهرا . هل تعدينى بذلك ؟

واومات بيونى براسها ، وقالت :

ـ اجل يا «آى ــ وان » ..

ورقد « آى ــ وان » فى فراشه مسهدا ، وراح يفكر فيماسوف يحدث فى اليوم التالى من احداث جسام ، واخيرا غلبه النوم على أمره ..

وايقظه ابوه فى صباح اليوم التالى بعنف ، وهو يهزه من كتفه. ففتح عينيه ليرى وجه ابيه ، وقد بدا شديد الامتقاع ، والغضب يكاد ينجسم عليه . وسمع اباه يقول له بصوت رهيب :

ـ استيقظ ..

وجلس « آى ـ وان » فى فراشه فورا ، بينما اردف ابوه قائلا بنفس الصوت الحاد الرهيب :

ـ ارتد ملابسك حالا ..

ونهض الشاب ، وهو يقول مدهوشا :

ـ ماهذا ، ماذا حدث ؟ ..

فصاح الوالد قائلا :

ـ الا تعرف ماذا حدث أيها الاحمق الابله ؟ ايها المخادع المغرور !

وكان « آى ـ وان » منذ طفولته يحترم اباه ، ولا يجرؤ على رفع صوته امامه ايا كان الامر . ومن ثم اطرق براسه قائلا ، وقد فهم كل شيء :

ـ ماذا حدث يا ابى ؟ ..

فاخرج ابوه من جيبه قائمة بعدد كبير من الاسماء ، وقال وهو يقدمها اليه :

ـ اقرا هذه الاسماء ..

وقرأ « آى ـ وان » اسماء جميع اعضاء الجمعيـــــة السرية فى الجامعة ، وكان اسمه بينها .. ولكنه لاحظ ان اسم « بنج ـ ليو » المكروه من الجميع ، لم يكن بينها ، وتذكر عندئذ انه ـ اى « بنج ـ ليو » ـ كان قد امتنع عن التردد على الجامعة فى الشهر الاخير ، بحجة سفره الى قريته مريضا !

اذن فان « بنج ـ ليو » هو العضو الخائن فى الجمعية !.

هو الذى نجا بجلده ، بعد ان قدم زملاءه ضحايا ..

وقال الوالد :

ـ هل تعرف معنى هذا ؟

ـ اجل .. من اين جئت بهذه القائمة يا ابى ؟

فحملق والده فى وجهه ، وقال :

ـ وماذا يهمك من هذا ؟ .. اسرع بارتداء ملابسك ، فقديصل

وجال الشرطة في اية لحظة للقبض عليك .. لقد جاء « شيانج ـ كاي ـ تشيك » الى هنا ..

واحس « اى ـ وان » بجسمه يتخاذل ، وهو يقول :

ـ « شيانج ـ كاى ـ تشيك » ؟!

ـ انه في المدينة الآن .. وكان هنا امس ..

ـ ولكن .. قيل لنا انه لا يزال فى الطريق الينا بعد ان استولى على النصر ..

ـ لقد ترك كل هذا لاعوانه واسرع الى شنغهاى .. أسرع بارتداء ملابسك ..

ـ ولكن .. كيف عرفت يا ابى ؟

ـ رأيته بنفسي ..

واحس « آى ـ وان » بالفزع وهو يقول :

ـ امس .. يا ابى .. رأيته ؟

ـ نعم .. لقد عقد امس اجتماعا معنا ـ نحن اصحاب البنوك فى المدينة ـ وقال لنا انه لا يريد ان تحدث اية انقلابات أو ثورات فى المدينة ، وان على رجال المال والاعمال ان يتعاونوا مع رجال الحكم الجديد . ارتد ملابسك ، أم تريد ان تعدم ؟

وازداد احساس « آى ـ وان » بالانهيار ، وهو يقول بصوت واه :

ـ هل قال « شيانج ـ كاى ـ تشيك » هذا ؟

ـ اجل .. لانه رجل حكيم .. وقد امر بتطهير المدينة من جميع الشيوعيين .. وصاح « آى ـ وان » وقد اختنق صوته بالبكاء :

ـ لقد خذلنا اذن .. خذلنا جميعا .. لاشك ان زملائى جميعا الآن فى السجون أو على المشانق .. يجب ان أمضى لابحث عنهم .. يجب ..

فدفع به ابوه الى خزانة الملابس ، وقال :

ـ انك ستمضى الآن الى رصيف الميناء .. والسيارة تنتظر بالباب . لسوف تبحر فى طريقك الى اليابان .. هكذا تعهدت للمسئولين فى الحكومة الجديدة ، اذا سافرت اليوم ، فسوف يمحون اسمك من قائمة الشيوعيين

واحس « آى ــ وان » بالارض تميد تحت قدميه ، وهو يهمهم قائلا قبل ان يسقط مغشيا عليه :

ــ اذن فكل شيء لا معنى له .. كل شيء الى ضياع !

وسمع والده يهتف باسم بيونى لتسرع اليه ، وبعد لحظة سمع شخصا يصيح من خارج الغرفة قائلا :

ــ لقــــد هربت بيونى .. هربت من القصر .. اننا لا نجــد لها أثرا !

ـــاتـ

الفصل الخامس

همسات الحب

كان « آى ـ وان » يشعر ـ والباخرة تحمله الى ميناء ناجازاكى فى اليابان ـ بالفراغ حوله ، وفى أعماق نفسه . لقد أحس منذ وضع قدميه فى السفينة ، ان كل شيء فى الحياة باطل ، وانه لم يعد له أمل يعيش من اجله ، وان عليه منذ تلك اللحظة ان يعيش حياته يوما بيوم ، وان المستقبل بالنسبة له مجرد ضباب أجوف ليس فيه قبس من نور هاد ..

وظل على هذه الحال من الشعور بالفراغ ، حتى اقتربت السفينة من ميناء ناجازاكى . ولكنه كان ـ بين الحين والآخر ـ يفيق من هذا الاحساس الاجوف ليذكر اباه ، وبيونى التى هربت، و « اين ـ لان » صديقه الذى أصبح يعتقد أنه مات مقتولا ، و «بنج لو » الخائن ، وبلاده التى لفظته وقررت الا يعيش مرة اخرى على ثراها حتى يصبح جديرا بالحياة فيها من جديد !

وكان والده قد ارسله للاقامة فى بيت صديقه المستر موراكى ، التاجر اليابانى الثرى الذى يمتلك شركة كبرى لتجارة التحف والعاديات والكنوز القديمة التى كان يستوردها من مختلف المصادر الشرقية ، ثم يصدرها الى الدول الاوروبية والامريكية

ووقف على سطح السفينة يتطلع الى ميناء ناجازاكى ، وما يحتشد فى مياهه من مئات السفن الصغيرة والقوارب والبواخر وصنادل الشحن وناقلات الفحم ، ثم مد عينيه الى المدينة نفسها التى كانت تمتد كشريط مستطيل بين الجبال المرتفعة والبحر ... وكانت بيوتها مستطيلة ايضا ، وخفيضة ومسطحة الاسقف. وكانت الشمس تتألق عليها ، بينما راى عند قمم الجبال السحاب منعقدا .. كأنه مظلة تنتشر فوق المدينة شيئا فشيئا ..

وحمل حقيبة سفره اخيرا ، وتبع الركاب الهابطين الى رصيف الميناء .. وكان معظمهم من السائحين الامريكيين الذين جاءوا الى المدينة لمشاهدة معالمها والتجول فيها بضع ساعات ، ريثما تعود السفينة للابحار فى طريقها الى يوكوهاما

وما كاد يهبط الى الميناء ، حتى تقدم منه شاب فى مثل عمره .. ولكنه اقصر قامة ، وامتن جسما ، واكثر سمرة ، وكان يابانى الملامح ، ويرتدى الملابس الافرنجية . وقد سمعه يقول له بلغة صينية ذات لهجة يابانية :

ـ السيد « آى ـ وان » ؟

فرد « آى ـ وان » قائلا :

ـ اجل .. اننى خادمك « آى ـ وان »

ـ اننى ابن المستر موراكى ، واسمى بونجى .. وان ابى يدعوك للاقامة فى بيته ..

ثم ابتسم الشاب ، فبدت اسنانه بيضاء ناصعة ، كما تألقت عيناه بالوداعة واللطف . وفجاة عاد يقول :

ـ ما رايك ؟ هل نتحدث الانجليزية ؟.. انها اسهل ، وان كنت اتحدثها بلهجة يابانية !

ـ حسنا .. اذا شئت

واحس « آى ـ وان » بالميل نحو ذلك الشاب اللطيف منذ اللحظ الاولى ! ولم يلبث ان ركب معه سيارة خاصة صغيرة انطلقت بهما نحو بوابة بيت تحيط به اسوار غير مرتفعة . وهبط بونجى ،وسار بخطوات رشيقة تنم عن قوة جثمانية كبيرة ، وفتح البوابة وهو يقول :

ـ هذا هو بيتنا ..

ومد يده ليحمل حقيبة « آى ـ وان » ، ولكن هذا اصر على ان يحملها بنفسه ، واخيرا اتفق الاثنان على ان يحملاها معا ، ولم يلبث ان اقبل خادم عجوز فحملها عنهما .. وسار الجميع فى ممرات حديقة واسعة لم يشهد « آى ـ وان » لها مثيلا فى حياته

كانت حديقة ذات ممرات وجداول وشلالات صناعية ومعابر وبحيرات صناعية ، وكانت زاخرة بمختلف انواع الاشجار والزهور

التى تدل احواضها على ان اليد التى تعهدتها ونسقتها ، كانت يد فنان بارع .. وقد دهش « آى ـ وان » حين وجد ان عينيه لم تقع ابدا على ورقة شجر ملقاة هنا او هناك ، او عود قش فى الممرات، او على اى شيء فى غير موضعه ..

وقال بونجى :

ـ ان حديقة ابى مشهورة فى كل انحاء اليـــابان ·· ها هو ذا ابى ·· واشار الى رجل قصير الجسم ، عجوز ، فى ملابس يابانيه ، كان واقفا بالقرب من مدخل البيت ، ممسكا بغصن شجرة صغيرة . فلما اقتربا منه ، قال الرجل لابنه باليابانية :

ـ هاه .. لقد جئت ..

وعندئذ قال بونجى بالصينية :

ـ هذا هو ضيفنا يا ابى ..

فقال الرجل العجوز على الفور بلغة صـينية كالتى تنشر فى الكتب :

ـ فى بيتى هذا الصغير ارحب بابن صديقى كل الترحيب ..

واحب « آى ـ وان » ذلك الرجل العجوز فورا .. واحس بشيء ما فى اعماق نفســه يسخر من قول « اين ـ لان » ذات مرة : « عندما يحدث الانقلاب ، سنحارب اليابان لنسترد ما اخذته من بلادنا » . وكان قد ظل يكره اليابانيين منذ ذلك الحين . اما الآن لقد شعر انه لا يستطيع ان يكره هذا الرجل العجوز الذى يرحب به فى بيته ··

وقال « آى ـ وان » :

ـ اننى اشكر لك هذه الضيافة التى اعتقد اننى لا استحقها..

فقال الرجل العجوز ، وهو لا يزال ممسكا بغصن الشجرة :

ـ هاه ! ان اباك صديقى ، وان كل مالدينا تحت امرك . انظر.. ان اشجار الشليك توشك ان تزهر ، لقد جئت فى الوقت المناسب . ان اليابان كلها سوف تسبح قريبا فى امواج من الزهور ..

وقال بونجى لـ « آى ـ وان » :

ـ ليس فى الدنيا شيء احب الى ابى من الزهور .. انه يعيش الان من اجلى

وابتسم العجوز ، ثم قال بعد لحظة صمت :

ـ يحسن يابونجي أن تمضي بضيفنا العزيز الى غرفته ليزيل عن نفسه وعثاء السفر

وقال بونجي ، وهما في الطريق نحو البيت .

ـ لقد اعتزل ابي الاعمال الآن .. ويقوم بالعمل بدلا منه في الوقت الحاضر اخواي الكبيران ..

ـ وانت ؟

ـ انني كاتب في الادارة هنا ، والاحظ عملية استيراد وتصدير البضائع

ووصلا الى باب واسع ، حيث استقبلتهما خادمتان جميلتان ، كل منهما ترتدي «الكيمونو» الحريري المشجر ، وقد اخذت كل منهما تخلع حذاء أحد الشابين ، وتضع مكانه شبشبا يابانيا من الخوص المنسوج الناعم

وتبع « آي ـ وان » صاحبه بونجي صاعدا بضع درجات الى بيت لم يسبق ان راى له مثيلا من قبل .. فقد كان مكونا من طابق واحد ، وفي ذلك الطابق كانت ثمة غرفات عديدة تفصلها حواجز متحركة . وكانت الغرفات عارية الا من اثاثات ضئيلة ، ولكن « آي ـ وان » لاحظ ان كل غرفة لم تكن تخلو من اواني الزهور الفاخرة ، واروع من هذا كان شذى الحديقة العاطر ينساب الى جميع الغرفات على السواء ..

وقال بونجي :

ـ ان ابي يحب ان يعيش في بيته على الطريقة اليابانية القديمة . ولكنك سوف تجد في غرفتك بعض المقاعد . وان أخي سبو ـ المقيم في يوكوهاما ـ يعيش أيضا على الطريقة الافرنجية ، ولهذا تجد المقاعد كثيرة في بيته ..

وضحك بونجي ، وشاركه « آي ـ وان » في الضحك ، وقد شعر ان ذلك الفراغ الذى يملأ حياته قد بدأ يتلاشى تدريجيا ..

ولما وصلا الى الغرفة المخصصة « لآي ـ وان » قال بونجي :

ـ هذه هي غرفتك .. انها بجوار غرفتي ، وان لها حديقتها الخاصة ..

وازاح حاجزا انيقا مزينا بالمخرمات ، فبدت غرفة رحيبة ليس بها غير مقعدين وتيرين ، وحصير لين سميك ، واناء من الزهور ، وفراش مطوى فى ركن منها .. ولكنه كان كله مصنوعا من الحرير الثمين . وكان للغرفة باب آخر يفضى الى حديقة صغيرة خاصة بها .. حديقة مليئة بالزهور ، وبها ممر خاص ، وشلال صناعى صغير ، وجدول من ماء رقراق

وقال بونجى :

ـ لايستطيع احد ان يقتحم عليك حديقتك هذه الا البستانى المحوز .. ومن ثم فهى خاصة بك . واذا شئت شيئا ، فصفق بيديك تحضر اليك الخادمه . وسوف يكون طعام الغداء معدا بعد ساعه . وبعد ان تغتسل وتستريح ، سوف اعود اليك

وجلس « آى ـ وان » على المقعد برهة ، واستغرق فى تفكير اقرب الى الذهول ؛ ولكنه لم يلبث ان صفق بيديه ، فجاءت خادم شابة جميلة ، وانحنت امامه وهى تعقد يديها على صدرها ، فطلب منها ماء للاغتسال : وسرعان ما احضرت اليه الماء المعطر ، وبعد ان اغتسل واستراح ، سمع نقرا خفيفا على الباب ، فاذن للطارق بالدخول ، فدخل بونجى حاملا « كيمونو » من الحرير الذهبى قائلا :

ـ لقد جئت اليك بهذا الثوب اليابانى ، وانا اعتقد انه سيكون امتع على راحتك من هذه الملابس الافرنجية الضيقة

وشكره « اى ـ وان »، وراح يرتدى الثوب اليابانى الفضفاض بينما استدار بونجى بظهره اليه ، متطلعا الى الحديقة الصغيرة الخاصة . ولما فرغ من ارتداء الثوب ، استدار بونجى اليه ، وتامله قليلا ـ وهو يبتسم ـ ثم قال :

ـ الواقع ان ملابسنا لا تختلف كثيرا عن ملابسكم .. اننا نرتدى الملابس التى كانت شائعه فى تاريخكم القديم ، وانتم ترتدون ملابسنا الحديثه . هل تشعر بالراحه فيها ؟ حسنا .. انهاتناسب الفتيات جدا . انتظر حتى ترى اختى .. انها موجا .. اعنى انها فتاة عصرية .. عصرية بمشاعرها . ولكن ابى يصر على ان ترتدى فى البيت الملابس اليابانية التقليدية . آه .. لا شك انك جائع .

هلم .. فان الطعام معد

وضحك الشاب بونجي . وكان دائما ينهي حديثه بضحكة لطيفة، ثم تقدم صاحبه الى غرفة كبيرة مربعة مطلة على الحديقة الرئيسية ، وهناك وقف بالباب وانحنى تحية لوالديه اللذين كانا جالسين الى مائدة منخفضة

وقال :

ــ اماه ! هذا هو ضيفنا « آى ــ وان »

وانحنى « آى ــ وان » لمدام موراكى ، وهو يقول لنفسه « انني لم ار في حياتي سيدة جميلة على هذا النحو » وكانت تختلف كثيرا من والدته البدينة .. اذ كانت صغيرة الحجم ، نحيلة الجسم ، رشيقة الحركة ، ناعمة البشرة رغم بلوغها الخمسين من العمر ، وكانت عيناها السوداوان تنمان عن الوداعة والقدرة البالغة على التحمل والصبر

وكانت تشبه ــ وهي تنحنى له ثم تنتصب ــ زهرة تتجمع ثم تنتشر اوراقها برشاقة مذهلة . وقد قالت وهي تبتسم في عطف :

ــ انى سعيدة بحضورك ..هل تسمح بالجلوس ؟ .. انني آسفة اذ اتحدث الانجليزية ، لان لغتي الصينية رديئة جدا

فقال « آى ــ وان » :

ارجو ان اتعلم اللغة اليابانية بسرعة ، وعندئذ استطيع ان اتحدث معك بلغتك ياسيدتي ..

وجلسوا جميعا على حصير فاخر فضى اللون ، حول مائدة خفيضة ، ولم تلبث ان اقبلت فتاة في ميعة الصبا ، متوردة الوجه ، جميلة الملامح ناعمة الشعر ، ترتدى « كيمونو » مشجرا فاخرا .. اقبلت تحمل صحفة فضية عليها أوعية طعام . فوضعت امام كل واحد من الآكلين وعاء ، ثم انصرفت ..

وبعد انصرافها ضحك بونجى ، وابتسم والداه ، ثم قال :

ــ هذه اختى « تاما » .. انها تشعر الان بالخجل ولن تاكل معنا هذه المرة ، ولكنها سوف تتغلب على خجلها سريعا

وقال « آى ــ وان » الذى لم يكن قد نظر الى الفتاة الا لمحة خاطفة :

ـ هل تسمح تقاليدكم بان اتحدث مع اختك !

وتمتمت مدام موراكي بكلمات يابانية قليلة ، ثم قال بونجي :

ـ ان امي تقول : انتظر حتى تعود ، ثم حدثها . .

ولكن الصنف التالي من الطعام جاءت به احدى الخادمات . ومن ثم ، ضحك بونجي وقال :

ـ لقد ادركت « تماما » اننا سنحدثك عنها ، ولهذا لم تحضر هذه المرة . .

وضحك الجميع . . وشعر « آي ـ وان » بالبهجة تسري في كيانه . لقد وجد ان هذه الاسرة تاخذ الحياة ببساطة وبسر ، وتحاول ان تضحك لكل شيء . . وقالت مدام موراكي عند الفراغ من الطعام :

ـ ارجو ان يكون طعامنا قد اعجبك . .

ـ شكرا . . انه شهي جدا . .

وبعد ان تناولوا الشاي ، استاذنت السيدة موراكي ، وانصرفت . . ثم نظر بونجي الى ابيه الذي لم يلبث ان قال « لآي ـ وان » :

ـ ان والدك يريد ان نعلمك تجارتنا . . فاذا لم يكن لديك مانع، فاننا نرحب بك . وقد راينا ان تعمل في الصباح مع بونجي . اما في المساء فيمكنك ان تتم دراستك او تستمتع بوقتك كما تشاء

فقال « آي ـ وان » وقد ايقن انه سعيد حقا بحضوره الى اليابان :

ـ انني شاكر لكم هذا الفضل . .

فنهض العجوز موراكي ، وهو يقول :

ـ حسنا جدا . . اتفقنا . . واذا احسست يوما انك غير سعيد معنا ، فيمكنك ان تصارحني ! انني هنا في مكان والدك تماما . .

فرد « آي ـ وان » قائلا بحماس :

ـ انني واثق انني ساكون سعيدا جدا بينكم . .

ـ عظيم . . انني احب ان يكون جميع الذين يعيشون معي سعداء

وبعد ان عاد الى حديقته ، قال بونجي وقد التمعت عيناه مكرا :

ـ سوف تاتي «تاماء» الان ، فكيف تتصرف ياعزيزي «آي ـ وان»؟ هل تحب ان تبدو « موبو » اي فتى عصريا ، او تفضل ان تكون

شرفيا صميما ؟

فابتسم « آي ـ وان » وقال بخجل :

ـ كيف تحب هي ان اكون ؟

ـ لن اخبرك ٠٠ وسوف ترى بنفسك ٠ آه ٠٠ ها هي ذي مقبلة ٠ .

وانزلق الحاجز برفق . ووقفت « تاما » في مدخل الغرفة مترددة ، ورفع « آي ـ وان » عينيه اليها .. فرأى فتاة في نحو السابعة عشرة من عمرها ، ترتدي « كيمونو » وردي اللون ، وتضع في قدميها الصغيرتين حذاء بابانيا ، وحول خصرها حزام من الجلد الذهبي ، وشعرها الاسود الفاحم ينهدل على كتفيها ، على الطريقة المصرية ، وقد احاط بوجه مستدير متورد دقيق الملامح ، عذب السمات .. ولم يطل ترددها غير لحظة واحدة ، انحنت بعدها امام « آي ـ وان » برشاقة كما فعلت امها ، ثم قالت لأخيها :

ـ انسمح يا يونجي ؟

وقال يونجي وعيناه تترا قصان مكرا :

ـ هذه اختي تاما .. وهذا يا تاما ضيفنا « آي ـ وان »

ومرة اخرى انحنت تاما ، ثم تقدمت وهي تمد يدها قائلة :

ـ لنتصافح .. اليس كذلك ؟. ان يونجي قال انك فتى عصري ، وانا كذلك . ولكن ابي يحب التقاليد القديمة .. انني طالبة بجامعة كيوشو

ومد « آي ـ وان » يده وصافحها ، ثم رفع عينيه مرة اخرى اليها ، وعندما تلاقت نظراتهما ، احس كأن شيئا في اعماق نفسه يهمس ، ولكنه لم يكن يدرى في تلك اللحظة انها همسات الحب للقلب البكر ٠٠!

عذابات الحب

استقر « آى ـ وان » فى حياته الجديدة ، سعيد النفس ، مطمئنا الى الحياة : متحررا تماما من تلك الآمال الجوفاء التى عاشها خلال هذه الفترة العصيبة التى عاشها فى وطنه ، متسائلا فى نفسه بين الحين والآخر عن المصير الذى انتهى اليه كل من بيوفى و « ابن ـ لان » . وكان يسر فى قرارة نفسه ان « ابن ـ لان » قد مات . ولكن .. ماذا عن بيوى !

واستلم عمله فى ادارة شركة الاستيراد والتصدير التى يمتلكها مضيفه المستر موراكى ، ويديرها ابناؤه الثلاثة . وكان يدير فرعها فى ماجازاكى ابنه الاوسط اكيو . وكان رجلا فى نحو الثالثة والثلاثين من العمر ، هادئا ، مكتئب السمت دائما ، قليل الكلام . وقد قال يونجى عنه « لآى ـ وان » ان اكتئاب اخيه اكيو يرجع الى حالة من الخلاف المزمن بينه وبين ابيه .. ذلك ان اكيو كان قد احب فتاة يابانية تدعى سومى ، واصر على الزواج منها . ورفض الوالد العنيد أن يوافق على هذا الزواج ، فاضطر اكيو الى ان يستأجر لعشيقته بيتا خاصا فى اطراف المدينة ، وان يحيا معها حياة تشبه الزوجية ، وان لم تكن لها شرعية الزواج . ولم يعترف الوالد بهذه العلاقة ، فكان اكيو يعيش فى بيت ابيه كواحد من افراد الاسرة ، ولكنه كان يبيت لياليه مع حبيبته فى بيت خاص .

وراح « آى ـ وان » يبذل كل ما يستطيع من جهد ليتعلم اسرار تجارة الاستيراد والتصدير ، ولكى يظفر باعجاب المستر موراكى الذى كان يراسل اباه بانتظام . وكان هو ايضا يراسل ابيه ، ويعلم من خطاباته بان الحالة فى وطنه قد استقرت ، وان

الجنرال « شانج ــ كاي ــ تشيك » قد امتلك زمام الامر ، وقضى على جميع معارضيه ، وطرد الشيوعيين الى الجبال

وكانت لغرفة مكتبه فى ادارة الشركة بالميناء ، نافذة تطل على البحر ، وكان بونجى كثيرا ما يقول له وهو يشير الى المياه الممتدة على مدى البصر :

ــ لو نظرت من هذه النافذة فى خط مستقيم ، فسوف تجد وطنك أمامك مباشرة

وكان « آى ــ وان » يبتسم فى حزن ولا يجيب ، ولكنه كان يقول لنفسه : « هل عاد لى وطن ، بعد ان خرجت منه هاربا ! »

ومضت اربعة اشهر على هذه الحال ، كان يرى خلالها « تاما » كل يوم تقريبا فى وقت الغداء . ولكنه لم يكن يستطيع ان يتبادل معها الحديث على انفراد ، بعد ان علم ان التقاليد اليابانية تمنع وجود اى نوع من العلاقات الخارجية بين فتاة وفتى غريب عنها ، حتى لو كان ضيفا مقيما فى بيت والدها

ولكن « آى ــ وان » وجد فى الكتب الادبية عالما جديدا ، كان لا يعرف عنه شيئا حتى ذلك الحين . لقد كانت معظم قراءاته من قبل تدور حول النظم الاجتماعية ، والاحداث التاريخية ، والآراء السياسية . اما الآن ، فقد وجد الوقت الكافى ليعيش مع ابطال روايات عالمية ، ولشد ما كان قلبه يخفق وهو يقرأ عن الحب .. الحب الذى كانت همساته لا تكف عن التردد فى اعماق قلبه !

وفى ذات يوم من ايام الصيف ، بعد الاشهر الاربعة الاولى من اقامته فى اليابان ، شعر وهو فى غرفته بقلق لا يدرى سببه ... فنهض وارتدى ثوبه اليابانى ، ومضى الى غرفة الطعام . وهناك شاهد « تاما » بمفردها ترتب وتنسق الازهار فى مزاهرها ، فلما استدارت اليه بدهشة ، قال معتذرا :

ــ انى آسف .. يبدو انى جئت مبكرا عن الموعد

وقبل ان يتراجع ، سمعها تقول له :

ــ لا عليك .. ولا داعى لان تنصرف الآن ..

وكانت تلك اول مرة يقف فيها معها بمفرده ، بل كانت تلك اول مرة يتحدث فيها على انفراد مع ايه فتاة ــ فيما عدا بيونى طبعا ــ

ولم تكن بيوتى تشذ فى نظره هذا النوع من الفتيات . لقد نشأ وهو يراها جارية وان لم يكن يعاملها كجارية

ووقف ينظر اليها مذهولا ، وهى تنسق الازهار ببراعة .. فلما فرغت ، التفتت اليه باسمة وقالت :

ــ ما رايك فى هذا ؟

ــ رائع .. رائع ..

ــ انا نتعلم هذه الاشياء .. نحن الفتيات اليابانيات

ثم لوت شفتيها ، واستأنفت كلامها بدلال :

ــ ولكننى لا اجد احدا يعلمنى الاشياء التى اريد حقا ان اعرفها

وقبل ان يسالها عن هذه الاشياء ، انزلق الحاجز ، وظهر المستر موراكى ــ وقد بدت عليه الدهشة حين رآهما معا ــ ولكنه انحنى محييا ، بينما اسرعت « تاما » تقول :

ــ ما رايك يا ابى فى هذه الزهور ؟

واشرق وجه الرجل العجوز ، وهو يرى امامه احب شىء اليه فى الحياة ، ثم تناول المقص وتقدم نحو المزهرة وهو يقول :

ــ عظيم ، عظيم .. ولكن كان ينبغى ان تتدلى هذا الغصن هكذا .. آه ، ان للزهور لغة تعلم الانسان يا « تاما » فن الحياة !

ولما أوى « آى ــ وان » الى فراشه فى تلك الليلة ، راح يستعيد فى ذاكرته كل كلمة ، وكل نظرة ، بدرت من « تاما » اليه . وكان يشعر بقلبه يخفق فى قوة كلما تمادى فى ذكرياته ، واخيرا قال لنفسه وهو يضحك فى جذل ، ويتناول قصة حب :

« يبدو اننى ايضا اعيش فى قصة حب »



ومضت الايام والشهور مرة اخرى ، دون ان تتاح له فرصة الحديث على انفراد مع « تاما » ثانية . ولكنه كان يشعر من نظراتها اليه ، ان همسات الحب قد ترددت ايضا فى قلبها . وكان هذا حسبه .. اذ كان يعلم تماما ان والدها ، لو عرف بما بينهما من شعور متبادل ، لارسل به فورا الى وطنه

ولم يكن هذا هو التقليد الوحيد الغريب الذى شاهده فى اليابان . لقد كان فى كل يوم يرى تقاليد اعجب واغرب .. فمثلا راى ذات

يوم غلامين يحمل كل منهما سلة طعام وينطلق بدراجته ليصل بها الى احد العملاء . ثم حدث ان اصطدم احدهما بالآخر ، وتناثرت محتويات السلتين فى الطريق . وتوقع « آى ـ وان » ان يرى الغلامين يشتبكان فى معركة عنيفة ، ان لم تكن بالايدى ، فباللسان. ولكن لقد ما كانت دهشته حين راى احدهما ينحنى للآخر باحترام ويقول :

ـ اننى آسف . . هذه غلطتى . .

فيرد الثانى قائلا بحماس :

ـ بل هى غلطتى انا . . معذرة !

ثم ياخذ كل منهما فى جمع محتويات سلة الآخر ، ويعيدها اليه وهو يكرر الاعتذار !

وكاد « آى ـ وان » ؛ عندما ذهب لاول مرة مع يونجى الى الحمام العام الا يصدق عينيه حين راى اليابانيين ـ نساء ورجالا ـ يستحمون معا وهم عرايا تماما . ولما اعرب عن دهشته ليونجى ، قال هذا له ببساطة :

ـ هذا تقليد معترف به . . ولا عيب فيه ، وانما العيب الكبير الذى لا يغتفر هو ان يضبط احد الرجال ينظر الى احدى النساء. ان المراة تشعر بالاهانة اذا نظر رجل الى جسدها العارى !

ولم يحب « آى ـ وان » شىء . وانما راح يعجب لهؤلاء اليابانيين الذين عرفوا كيف يسامون بالغرائز الجنسية ، وكيف يتحكمون فى هذه المشاعر الحارة التى بدات تتدفق فى دمائه ، وتشغل تفكيره بعد ان تحرر من تلك الآمال الخيالية التى عاش عبدا لها حتى وصوله الى اليابان . .



اكثر من اربع أو خمس مرات سال « آى ـ وان » صديقه يونجى ـ اثناء العامين الاولين اللذين قضاهما فى اليابان ـ قائلا :

ـ الا ترى يا يونجى انه لا ينبغى لى ان ابقى مقيما فى ضيافتكم، الا يحسن ان اتخذ لنفسى غرفة فى فندق !

وكان يونجى يصبح محتجا فى كل مرة ، ثم يخبر اباه بما سمع . . وكان الوالد ياتى الى « آى ـ وان » ويقول له بصوته الهادىء

ولهجته الرقيقة :

ــ لا تغادرنا يا ولدى العزيز ، فاني احب ان يبقى معنا ابن اعز اصدقائي

وكانت « تاما » قد انتهت من دراستها في نهاية هذين العامين ، واستقرت بالبيت . ورغم هذا . لم يستطع « آى ــ وان » ان ينفرد معها في مكان ما ، سواء بالحديقة أو بداخل البيت ليتحدث معها بحرية . وكان كل شيء ــ ظاهريا ــ ينم على ان لها مطلق الحرية في التجوال خلال الحديقة او في غرفات البيت . ومع ذلك فانه لم يحاول مرة ان يتحدث معها على انفراد حتى يرى امها او اباها او احدى الخادمات تبرز من مكان ما ، وكان الامر قد حدث مصادفة !

الا انه لاحظ تغييرا كبيرا طرا عليها بعد ان انقطعت عن الدراسة، واستقرت بالبيت ، لاحظ انها فقدت كثيرا من مرحها السابق ، واصبحت اكثر صمتا ، واميل الى العزلة ، واشد استغراقا في التفكير ، وقد سال « آى ــ وان » صاحبه بونجى ذات يوم قائلا :

ــ ما سبب هذا التغيير الذى طرا على « تاما » منذ استقرت للاقامة بالبيت ؟ . .

فقال بونجى بلا مبالاة

ــ انها الآن في دور الاعداد للزواج

فقال « آى ــ وان » مدهوشا :

ــ الزواج ؟ هل ستتزوج ؟

ولم تكن فكرة زواج « تاما » قد خطرت بباله من قبل . ولكن ، لا شك انها ستتزوج وقد بلغت العشرين من عمرها تقريبا

ورد بونجى قائلا ، وهو ينشر مظلته اثناء سيرهما من الادارة الى البيت في يوم مطير :

ــ طبعا سوف تتزوج . . ولكن لم يستقر بعد ، الراى بشان زواجها ، الا انه من عاداتنا بعد ان تنال الفتاة كفايتها من التعليم، ان تستقر في البيت ، لتتعلم الطهو ، والخياطة ، وتنسيق الزهور ، وصنع الشاى ، والعزف على الآلات الموسيقية ، وكل شيء يمكن ان يسعد زوجها

وعاد « آي ـ وان » يعول وقد احس بالجفاف في حلقه

ـ اذن سوف تتزوج « تاما » ؟

وقال بونجي :

ـ اجل .. ولكن ليس الآن ، ان عليها ان تتعلم اشياء اخرى كثيرة من الحياة الزوجية ، ومن المحتمل ان تستاجر لها امي احدى فتيات الجيشا لتعلمها اسرار هذه الحياة

وشعر « آي ـ وان » بالرعب يستبد به .. ايمكن ان يتصور «تاما» وهي زوجة رجل اخر .. تتعلم كل شيء لكي تسعده ؟

وقرر ان ينتهز تلك الفرصة ، ليعرف عنها من بونجي كل مايمكن معرفته ، فعاد يقول :

ـ هل انت واثق يا بونجي انها ليست مخطوبة ؟

وقال بونجي ، وهو يهز كتفيه ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة لها دلالتها :

ـ لا دخل لي في مسالة زواجها او خطبتها يا « آي ـ وان » . ولكنني اعتبرك اخا لي ، ومن ثم استطيع ان اقول لك ان ابي يريد ان يزوجها بالجنرال سيكي

وكان « آي ـ وان » قد عرف اثناء اقامته في ناجازاكي من هو ذلك الجنرال سيكي . عرف انه كهل في نحو الخمسين من عمره ، مشهور بمعاركه الحربية المظفرة ، وبثروته الطائلة ، وبنفوذه الواسع في البلاط الملكي ، وبحبه للمظاهر امام الشعب . ذلك انه حرص عند وفاة زوجته ان تشيع في موكب جنازي لم تشهد له ناجازاكي مثيلا

واحس « آي ـ واي » بالغثيان ، وهو يتذكر هذا كله ، ثم يقول لبونجي :

ـ لا يجوز في رايي ان تتزوج الفتيات الناضرات بكهول سمان ، غليظي الاعناق . مثل الجنرال سيكي !

ـ ان الجنرال سيكي صديق قديم لابي ..

ثم ضحك بونجي ، واردف قائلا :

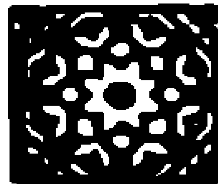
ـ لاتفكر كثيرا في مثل هذه الامور يا « آي ـ وان » .. لا تجعل تحس كل هذه الاهمية .. انظر الى اخي آكيو ! الا ترى الى اي

حد يبدو مكتئب السمات بسبب حبه لـ«رمى» ؟

فقال « آى ــ وان » ببطء :

ــ انى لا أفكر فى الحب .. وانما أفكر فى «تاما»

وعندئذ شعر بشيء كأنما يهمس فى أعماق نفسه : «وما الفرق بين الاثنين .. البنت «تاما» هى الحب ؟ ! »



يوم سعيد

ولما تراجع الصيف ليترك المجال للخريف ، شعر « آي ـ وان » بالحب يملأ عليه نفسه الى حد قرر معه أن يفاتح والد «ناما» في امر زواجها . وكان يعرف في قرارة نفسه ، أن والده لن يمارس في مثل هذا الزواج . . بل كان واثقا انه سوف يرحب به ويباركه . وكان يرى ان يتقدم لخطبة «ناما» على الطريقة العصرية ، اي لا يلجأ الى احد ليتوسط له في هذا الامر . ولكنه كان ـ كلما التقى بالمستر موراكي العجوز ـ وجد انه لن يستطيع ان يفاتحه في أمر كهذا . . ذلك أن الرجل كانت له هيبة تبعث في قلب «آي ـ وان» الخشية والرهبة . ثم من يدريه انها ـ اي «ناما» ـ سوف ترحب به زوجا ؟ . انه يرى عينيها تتألقان حقا بنور خفي كلما التقت نظراتهما . . ولكن ، من يدريه ان هذا هو الحب ؟ انه لم يعرف الحب من قبل مع اية فتاة اخرى ، وان شعوره السابق نحو بيوني لم يكن اكثر من مجرد اشتهاء . وقد قرأ في كتب الحب ان هناك فارقا كبيرا بين الاشتهاء والحب

وأيا كان الامر ، فسواء كانت «ناما» تبادله الحب ام لا ، فان عليه أن يطلب منها الامتناع عن زواج رجل مثل الجنرال سيكي ، وان عليه ان ينتهز أول فرصة ليقول لها هذا . . فاذا فعل،سوف يشعر بشيء من راحة الضمير

وظل يتحين الفرص للحديث معها على انفراد ، ولكن الرقابة داخل البيت كانت محكمة ـ وان بدت ظاهريا غير مقصودة ـ وكان في قرارة نفسه يشعر بالضيق والاستياء ويتساءل : هل بدر منه ما يجعلهم يتشككون في نواياه ؟

وسنحت الفرصة ذات يوم بعد الظهر . وكان الشتاء قد كسى المدينة ببرده ، ووضع على صفحات الجداول والانهار تلك الطبقة الرقيقة من الجليد ، وكانت واقفة فى حديقة البيت منحنية على عش شجرة صغيرة ، فاسرع نحوها قبل ان يبرز احد من افراد الاسرة او الخدم ، وقال لها :

ـ «تاما» .. اريد ان اقول لك شيئا ..

وتلعثم برهة .. وكان يتحدث باللغة اليابانية التى غدا يتقنها :

ـ وكنت أريد ان اقوله لك منذ مدة طويلة ..

ورفعت عينيها اليه ، وكانت فى نظراتها رقة ومودة ، مما شجعه على الاستطراد قائلا :

ـ لا يجب أن تتزوجى الجنرال سيكى ، او اى رجل عجوز .. لا يا « تاما » أرجوك ..

وقبل ان يزيد على هذا كلمة اخرى ، لمح مطرف السيدةموراكى يرفرف وهى تقترب نحوهما بسرعه ، وان حاولت ان تجعل الامر يبدو طبيعيا . وخطر بباله أن يبتعد ، ولكنه وقف جامدا فى مكانه ، وهو يقول لنفسه « لماذا انصرف وكانى مذنب هارب » ولمحت «تاما» امها ، فتقدمت نحوها ، ولكنها بعد ان قالت بصوت هامس « لاى ـ وان » :

ـ اننى لن اتزوج الا من اريد ..

وكان صوتها الخافت ينم ـ رغم هذا ـ عن روح من الاصرار والعناد . ومن ثم ، احس كان فيضا من السعادة يعيض فى حنايا نفسه



قال يونجى فجاة ، وهو جالس فى مكتبه ذات يوم من أيام الربيع :

ـ اريد نزهة الى الجبل .. لماذا لا ؟ اننا لم نستمتع بعطلة يوم منذ بدء العام الجديد . لقد اوشكت ساقاى على التجمد !

وكان « آى ـ وان » قد تعود أن يفاجئه يونجى بمثل هذه الاقتراحات .. كان يبقى ساكنا اياما او اسابيع . ثم اذا هو يعرب فجأة عن رغبته فى القيام بنزهة الى أعلى الجبل ..

وابتسم « آى ـ وان » وهو يتذكر مرح بونجى فى مثل هـــذه المناسبات ، وقدرته الفـــائقة على الجرى بســـاقيه القوستين ، ثم قال :

ـ متى ؟

ـ غدا .. سوف نذهب الى قمة اترين ، واعتقد ان ازهـــار البنفـــج سوف تكون متفتحة

ثم توقف برهة ، قبل أن يردف وهو يبتسم :

ـ وسوف نصحب « تاماه » .. ما رايك ؟ لقد كانت دائما تصحبنى الى مثل هذه النزهات قبل أن تاتى أنت الينا ..

وشعل « آى ـ وان » نفـــه بحشـــو متبغه واشعاله ، ثم تدخينه .. حتى لا يلحظ بونجى مابدا عليه من اضطراب مفاجىء ، واخيرا بصوت حاول جاهدا ان يجعله طبيعيا :

ـ وهل يمكن ان تاتى ؟

فقال بونجى بصوت عابث وهو يرنو الى « آى ـ وان » بطرف عينيه :

ـ لا أدرى .. هذا يتوقف على رغبتها الخاصة ، فاذا رات انمثل هذه النزهة ستكون ممتعة ، فسوف تغامر بالذهاب معنـــا رغم ما سوف نلقاه من تعنيف ابينا بعد ذلك !

ـ هل تعنى أنها اذا جاءت معنا .. ؟

ـ نعم .. سوف تاتى دون اذن من الوالد !

ـ أوه ! !

وعاد بونجى يقول بهدوء :

ـ سوف نرى على كل حال ، اذا كانت لها رغبة فى اصطحابنا ، فلن يستطيع احد أن يمنعها ..

ثم ارسل ضحكة مفاجئة ، مما جعل « آى ـ وان » يقول له :

ـ لماذا تضحك ؟

ـ لا لشىء معين .. اننى فقط لا أحب ذلك الجنرال سيكى

وهز « آى ـ وان » كتفيه ، وانحنى على مكتبه ، وراح يستانف العمل



وامضى ليلته بين الارق حينا والنوم حينـــا ، وهو لايدرى هل

ستذهب « تاما » معهما الى الجبل فى الصباح ، أو ستمتنع . وكان يدرك فى قرارة نفسه أن مصير حبه سوف يتقرر فى الصباح .. فاذا علم انها ستذهب معهما . فسوف يوقن أنها تبادله الحب ، او بعض الحب . واذا كان العكس ، فسوف يعلم انها لا تهتم بامره اكثر من انه مجرد ضيف وابن لصديق ابيها !

ولما رآها فى الصباح ، علم انها ستذهب معهما .. فقد كانت تبدو ناضرة ، منتعشة ، ضاحكة السمات ، متالقة النظرات .وكانت مرتدية « كيمونو » من القطن المشجر ، من النوع الذى ترتديه الفلاحات أو الفتيات الصاعدات الى الجبل

وقال لنفسه بقلب خافق ، وهو يتطلع الى عنقها العاجى ووجهها المتورد :

ـ انها سعيدة بذهابها معنا ..

وسمعها تقول ليونجى بصوت كأنه التغريد :

ـ أين العصى يابونجى ! لقد اعددت طعام الغداء ، وبعض قطع الاقمشة لكى نلف بها احذيتنا عند تسلقنا الصخور

وبدأوا معا رحلتهم ، كأنهم اخوان واخت ، وفى اثناء الطريق ، اخذت الهواجس تنوش قلب « آى ـ وان » وهو يرى « تاما » تنطلق معهما فى رشاقة وخفه ونشاط . لقد قرأ ان الفتيات العاشقات يمرضن من فرط الحب ، وتشحب وجوههن ، ويبدو الاعياء فى كل حركاتهن . اما هذه ، فانها تبدو فى حالة صحية كاملة تنم على انها غير مشغولة الفكر او القلب بشىء !

وارتسم القلق على وجهه ، حين وصل فى تفكيره الى هذه النتيجة .. ولكن سمات هذا القلق لم تلبث ان زالت امام جمال الجو فى ذلك اليوم ، وامام صيحات الاطفال الضاحكين الذين كانوا يلوحون لهم من الحقول . وقد قال يونجى بصوت كله الابتهاج

ـ ان الجو اليوم رائع ..

ـ الواقع اننى لم ار فى اليابان يوما اجمل من هذا منذ جئت..!

وقالت «تاما» :

ـ لا أظن انه يوجد فى اليابان ـ بل فى العالم كله ـ ايام كثيرة مثل هذا اليوم البديع

والواقع ان كل شيء كان يبدو في ذلك اليوم ضاحكا ، ينبض بالسعادة والبشر - وفي أثناء الطريق ، عندما انعطفوا الى ممر صاعد نحو الجبل ، فوجيء «آي ـ وان» بفتاة فروية في صبحة الصبا ـ واقفة عارية تماما في مياه جدول صغير كان يجرى بجوار الممر ـ وكانت مياه الجدول لاتكاد تصل الى ركبتيها ! وكان شعرها الاسود الناعم يتهدل على كتفيها ، ويحيط بوجهها الضاحك السعيد · وكان « آي ـ وان » قد حملق فيها بسبب المفاجأة والدهشة قبل أن يتمكن ويبعد نظراته عنها . ولكنه استطاع ان يرى في نظرته السريعة المفاجئة ، ان الفتاة لاتشعر بأى خجل أو ارتباك ، وكأنما الامر طبيعى جدا · ولم يقل بونجي شيئا ، وانما ترك « تاما » ترد على الفتاة ، وهي تهتف قائلة لهم :

ـ الى اين ايها الاعزاء !

ـ الى العيون الساخنة ··

ـ انه يوم جميل لمثل هذه النزهة ··

وقالت « تاما » بعد أن ابتعدوا عن الفتاة :

ـ ما اجملها ، وهي واقفة هكذا وماء الجدول يداعب قدميها !

ورافقها بونجي قائلا :

ـ أجل ·· انها جميلة فعلا ··

ووصلوا جميعا الى الفندق الذى يقع بجوار العيون المعدنية الساخنة ، وهناك امضوا فترة الصباح الى الظهيرة في ضحك ولعب واستحمام وجرى بين صخور الجبل · وكان « آي ـ وان » وبونجي يستحمان في العين العامة ، بينما حرصت « تاما » على الاستحمام في عين خاصة تحيط بها الحواجز ·· ولعلها كانت تأبى ان تقع نظرات اجنبى مثل « اى ـ وان » على جسدها العارى

وعادوا الى الفندق في ساعة الغداء ، وهناك وجدوا صاحبه قد اعد لهم الطعام في مكان خاص يشرف على الجبل والوديان الخضراء التى تتخلله ، ووضع « اى ـ وان » حشية بجوار النافذة وقال لـ « تاما » :

ـ يحسن أن تجلسى هنا ، لان هنا أفضل مكان ··

هناك ، وهي تريح نظراتها على وجهه :

ـ لسوف اجلس حيث تريد ..

واحس بالدوار في تلك اللحظة ، وهو يسمع نبرات صوتها التي تنم عن الخضوع والاستسلام ..

وفي اثناء عودتهم الى البيت ، راحوا يتسابقون .. فكانت «تاما» تعدو كالظبي الشارد ، وكان الشابان يحاولان اللحاق بها . وفي احدى المرات ، اندفع « آي ـ وان » سابقا بونجي .. وكاد في اندفاعه ـ بعد أن اقترب من «تاما» ـ ان يتعثر ويسقط ، لولا ان مدت هي يدها وامسكت بيده في قوة أدهشته

وكانت تلك اول مرة يلمسها فيها .. وقد فوجيء بما تنطوي عليه يدها من نقيضين : الرقة والقوة !

وعندما وصلوا الى الطريق العام ، ووقفوا في محطة السيارة الحافلة التي ستحملهم الى البيت ، قال « آي ـ وان » لـ « تاما »:

ـ هل استمتعت بهذا اليوم ؟

فاجابت بسرعة :

ـ اجل ..

ـ انه بالنسبة لي أجمل يوم مر في حياتي ..

وانتظر ان تقول شيئا ، ولما بقيت صامتة ، قال :

ـ وانت ؟

فقالت :

ـ انني لا أدري تماما .. ولكنني اعتقد ان هذا اليوم ليس له مثيل في أيام حياتي !

وايقن « آي ـ وان » عندئذ ان « تاما » تبادله الحب !

يتبع

في سكون الليل

وفي اليوم التالي ، قال بونجي لـ « اي ـ وان » :
ـ ان ابي غاضب من « تاما »
وكان « آي ـ وان » جالسا الى مكتبه بالادارة . لايزال يحلم باليوم السابق .. وكان في اثناء الليل يسمع رذاذ المطـــر وهو يتساقط على سقف البيت فيقول لنفسه
ـ لا شك ان « تاما » تسمعه الان ايضا . .
وفي الصباح ، راى الحديقة تتالق ناضرة مغسولة بامطار الليل ، فقال لنفسه
ـ ان « تاما » الان ترى الحديقة كذلك . .
وكان يحس أن كل شيء تراه « تاما » يبدو في نظره جميـــلا ساحرا ، كأنما لمسته عصا ساحر ..
ولكن كلمات بونجي جعلته يفيق من احلامه ، ويقول :
ـ غاضب من « تاما » ؟
فقال بونجي ، وهو يعمل على الالة الحاسبة :
ـ اجل . . ولكننا كنا نتوقع هذا على كل حـــال ، الا انه كان قاسيا في تعنيفه لها . ولو اقتصر الامر على هذا ، لهانت الكارثة ..
ـ الكارثة ! ؟ ..
ـ لقد ازداد اصرارا الان على ان يزوجها بالجنرال سيكي بعد أن قال هذا الجنرال انه لم يعد يستطيع صبرا
ودار رأس « اي ـ وان » ولم يستطع ان يقول شيئا . ومن ثم استطرد بونجي قائلا :
ـ ولكنها لن تتزوجه . ولو انتظر الف عام .. حـــا .. علينا

ان نشحن اليوم الى امريكا هذه الصناديق الخمسين من لعب الاطفال العاجية

وتمتم « آي ـ وان » بذهول ، وقد احس بالجفاف في حلقه :

ـ احقا انها لن تتزوجه ؟ !

ـ أوه .. أجل .. اننا جميعا نعارض في هـذا الزواج . وان والدتي تعارضه ايضا .. ولكنها لا تستطيع بحكم التقاليد ان تعلن عن معارضتها . وانما تبذل جهدها في انتحال الاعذار للتأجيل . وهي جد بارعة في هذا ..

وعاد « آي ـ وان » يتمتم قائلا :

ـ ولكن لابد ان يكون لهذا التأجيل حد ..

ـ نعم .. ولكن « تاما » لن تتزوجه .. انها لن تتردد في ان تقتل نفسها . اذا اضطرها والدها على زواجها له .. أنا نعرف هذا . وهي عنيدة الى اقصى حد .. رغم مايبدو عليها من وداعة ولطف

وبينما كان بونجي يفتح أحد الادراج ، قال له « آي ـ وان » معاتبا :

ـ أكل هذا يجري في البيت . وأنت ..

فضحك بونجي . وقال :

ـ ان مشاكل الحب أصبحت شائعة الآن .. ولايكاد يخلو بيت منها في هذا العصر الحديث . وطالما ان الكبار يريدون أن يفرضوا ارادتهم . وأن الصغار لايكفون عن الحب . فان هذه المشـاكل لن تنتهي أبدا ..

ثم ضحك مرة أخرى . وقال :

ـ ما عداي أنا .. فان هذه المشاكل لن تعرف طريقها الى . لانى قررت الا اقع في شباك الحب !

ولكن « آي ـ وان » لم يضحك . وانما قال في الم :

ـ لماذا يريد هذا الجنرال سبكي ان يتزوج « تاما » بالذات ؟ !

ـ اوه .. انه رجل واسع النفوذ والثراء . ومن طائفة الساموري وما الى هذا . وشجاع في الحرب . ويريد أن يتزوج فتـاة تتمتع بصحة جيدة حتى ينجب ابنـاء أقوياء . يحاربون من أجل الوطن والامبراطور .. ان المجانز هنا يعبدون الوطن .. والامبراطور !

ـ وهل من رايك أن هذا ..

فاسرع بونجي يقول :

ـ انني لا أرى شيئا ، او افكر في شيء يتعلق بهذا الموضوع .. ان بعض الزملاء في الجامعة ، كانوا يفكرون ويدبرون .. فاختفوا تماما ، ولايعرف أحد عنهم شيئا . ان جنود الجنرال سيكي هم الذين يدخلون الجامعات ، ويقبضون على الذين يفكرون في هذه الاوضاع . انه لا يريد ان يخضع البلاد ونظمها الاجتماعية لافكار الطلبة والمراهقين . ولهذا رايت لن اعيش سعيدا بعيدا عن هذه المشاكل ..

فنظر « آي ـ وان » برهة الى وجه بونجي ، وقال :

ـ هل تعني أن لديكم هنا ثوريين ؟

ـ صه ! لاتنطق بهذه الكلمة هنا .. ان مجرد النطق بها قد يؤدي بنا جميعا الى المنفى . انني لا احب الحديث في مثل هذه الشئون .. حسبي أن أقوم بعملي كما ينبغي

وانكب بونجي على مكتبه يعمل .. وظل « آي ـ وان » برهة يفكر ويشعر بالندم لأنه لم يحاول في اليوم السابق . ان ينفرد بـ «ناما» ويتحدث معها حديثا صريحا عن الحب والزواج . ويلوح أن سعادته في ذلك اليوم ، جعلته ينسى كل شيء . ومن ثم ، شعر انه مضطر الى الالتفات نحو بونجي ليقول له في تردد وارتباك :

ـ بونجي ! الا تستطيع .. الا يمكنك ان تعاونني على رؤيتها .. اليوم . انني اريد أن أراها لامر هام

فرفع بونجي راسه بسرعه ، وقال :

ـ اتعني « ناما » ؟ لقد امرها ابي ان تسجن نفسها في غرفتها ثلاثة ايام . .

وارتسم الفزع على وجه « آي ـ وان » وهو يتصور حرمانه من رؤية « ناما » ثلاثة ايام ، وتمتم في ذهول :

ـ ثلاثة ايام ؟!

ـ لقد حدث هذا من قبل ـ في الشتاء الماضي ـ عندما اعلنت « ناما » عن رفضها الزواج بالجنرال سيكي ، قائلة انها سوف تطيع اباها ، وتتزوجه ، ولكنها سوف تقتل نفسها بعد ذلك . وكان ابي

يعلم في قرارة نفسه ، انها سوف تفعل هذا حقا .. ومن ثم استبد به الغضب ، وامرها ان تسجن نفسها ثلاثة ايام في غرفتها

فهمس « آي ــ وان » قائلا :

ــ اكان ذلك عندما قلت لي ان « تاما » متوعكة الصحة ؟

ــ اجل .. وان «تاما» عادة لا تعصي اباها في المسائل البسيطة ، اما المسائل التي تتعلق بحياتها الخاصة ، كالزواج .. فانها تصر على ان يكون لها رايها الخاص فيها ..

وبعد فترة من الصمت ، عاد « آي ــ وان » يقول :

ــ الا ترى ان في مقدوري رؤية « تاما » بطريقة ما ؟

فحملق يونجي في وجهه وقال :

ــ ماذا تقول ؟

ــ لابد لي ان اراها ..

ــ لماذا ؟..

ولم يجب « آي ــ وان » وانما اعلن عن ذات قلبه بالدماء الحارة المتصاعدة الى وجهه .. وادرك يونجي الحقيقة ، فقال مضطربا :

ــ انك .. انك في الحقيقة لا .. لا ..

ــ بل انني متاكد من صدق شعوري ..

وفغر يونجي فمه . ثم ضحك فجاة .. فقال له «آي ــ وان » :

ــ لماذا تضحك ؟

ــ هذا مضحك .. عجيب .. لقد اصبح بيننا غرام .. اولا اخي اكيو ، ثم « تاما » .. وانت .. كل هذا وابي لا يدري شيئا !

ــ ليس في هذا ما يثير الضحك !

ــ حسنا .. حسنا .! اذا اردت ان تجعل ابي يتعجل زواج « تاما » بالجنرال سيكي ، فحاول ان تراها على انفراد !



ولما جلسوا جميعا لتناول العشاء ، كالمعتاد في كل ليلة ، احس « آي ــ وان » ان كل شيء حوله قد غدا مختلفا ، مغيضا ، بسبب غياب « تاما » . وكان السكون يخيم عليهم جميعا . كانما يشعرون هم ايضا بأن « تاما » هي روح المكان وزهرته العاطرة . وفيما كان

آكيو بهم بالـموض ، قال له والده :
ـ هل عرفت من الحساب الشهرى يا آكيو ؟
فقال اكيو بهدوئه المعتاد ، وكآبته المألوفة :
ـ أجل يا ابى ..
ـ حسنا جدا ..
وبعد انصراف آكيو ، ووالدته ، قال المستر موراكى لابنه بونجى الذى تعود الجلوس بعد العشاء ليتبادل الحديث مع « آى ـ وان »:
ـ بونجى .. انصرف الان لانى اريد ان اتحدث على انفراد مع « آى ـ وان » لقد وصلتنى رسالة من ابيه ..
وجعل بونجى قليلا ، ونظر الى « آى ـ وان » فى ارتباك ، ولكنه لم يستطع الا ان ينحنى لابيه . ثم ينصرف فى هدوء ..
وبعد ان خيم الصمت على الغرفة فترة غير وجيزة ، قال المستر موراكى بصوته الهادىء البطىء . وهو يقلب الجمر فى المدفأة بالملقاط الحديدى :
ـ ان والدك مسرور بما احرزت من تقدم فى اعمالك هنا .. وكنت قد قلت له انك تؤدى واجباتك على خير وجه ..
ـ شكرا يا سيدى ..
واستطرد المستر موراكى فى حديثه قائلا :
ـ وقد كتب والدك يقول ايضا ان الحالة مستتبة فى الصين ، وان العناصر الثورية قد قضى عليها تماما ، وان الشيوعيين قد طردوا الى الجبال
ولم يجب « آى ـ وان » بشىء ، فاردف العجوز يقول :
ـ يجب ان يسود النظام دائما .. وبدون هذا النظام والاستقرار لا يمكن لامة ان تتقدم . وهذا ما يسعى ان يعرفه الشبان .. ان تقدم الامم لا يكون بمجرد الرغبات والنزوات وحب الظهور والجرى وراء الزعامات ...
وصمت المستر موراكى فجأة . ثم عاد ليقول :
ـ وبما انك قد احسنت العمل هنا يا « اى ـ وان » وعرفت كل ما يمكن ان نعرفه من شئون الاستيراد والتصدير فى شركتنا باجاراكى . فقد قررت ان ارسل بك الى يوكوهاما لتساعد ابنى

سيو في ادارته لفرع الشركة هناك . لقد آن لك ان تستكمل دراستك للجزء الباقي من اعمالنا .. ومدا هذا فان في يوكوهاما جامعة خاصة يمكنك ان تتم فيها دراستك العالية . ولن تقيم في بيت سيو : لانه متزوج .. وانما ستقيم في دار الشباب حيث يعيش الكثيرون العزاب !

وهمس « آي ـ وان » قائلا :

ـ حسنا يا سيدي ..

ولكنه كان يتمنى لو استطاع ان يصيح بأعلى صوته قائلا :

« انني اعرف غرضك الحقيقي.. انك تريد ان تبعدني عن «تاما» ولكن لماذا ترفض ان تتزوج ! »

ولم يستطع بطبيعة الحال ان يلفظ بكلمة تعبر عن افكاره هذه ، ومن ثم استطرد المستر موراكي يقول :

ـ ولما كانت عادتي ان انفذ فورا ما يستقر عليه رايي ، فانك سوف تسافر الى يوكوهاما غدا . ومن المصادفات الطيبة ان اكيو سوف يسافر ليوكوهاما ايضا غدا في رحلته التجريبية ليتبادل الراى مع اخيه في شئون العمل .. هل سبق لك ان ركبت الطائرة ؟

ـ لا يا سيدي

ـ اه ! اذن سوف يكون لك حظ ركوب الطائرات غدا لاول مرة.. ان الطائرات اليابانية ممتازة ، وستكون الرحلة ممتعة

واوما العجوز برأسه هذه الايماءة التي تدل على ان المحادثة انتهت . وراى « آي ـ وان » ان يعرب له عن شكره على نحو ما . ولكن الكلمات وقفت في حلقه ، فلم يستطع الا ان يقول وهو ينهض للانصراف :

ـ طابت ليلتك يا سيدي ..

ـ طابت ليلتك يا ولدي ..

وراى يونجي في انتظاره خارج الغرفة ليقول له :

ـ ماذا قال لك ؟!

ـ قال ان علي السفر الى يوكوهاما غدا ..

ووقف الشابان يتبادلان النظر في صمت . ثم قال يونجي اخيرا :

ـ كنت اتوقع شيئا من هذا القبيل .. لقد كان كل شيء في جو

البيت يوحي اليوم بأن أبي غاضب ، وانه سيتخذ اجراء ما ..
ولم يجب « آي ـ وان » بشيء ، ومن ثم أردف بونجي قائلا :
ـ ماذا سنفعل الان ؟
ـ لا ادري .. انني لا استطيع ان آوى الى فراشي ..!
ـ ان المطر يتساقط ، ولولا هذا لخرجنا نتمشى قليلا ..
ـ ان المطر لن يهمني ..
وكان « آي ـ وان » يشعر بالالم يعتصر قلبه ، كلما فكر في أنه سيسافر قبل ان يرى « تاما » . وقال بونجي :
ـ هلم نرتدي معاطف المطر ..
وخرجا معا يسيران في اتجاه معين ، لم يسبق لـ « آي ـ وان » أن سار فيه .. حتى اذا بلغا بيتا صغيرا في ضاحية المدينة ، توقف بونجي وقال مشيرا اليه :
هذا هو بيت آكيو يا « آي ـ وان »
ـ بيت آكيو ؟..
ـ اجل .. حيث تعيش سيومي .. اتحب ان ندخل ؟
ـ اترى هذا ؟
ـ لماذا لا ؟.. ان علاقتي بسيومي طيبة جدا .. بل ان امي « وتاما » كثيرا ما يزورانها من وراء أبي .. انها سيدة لطيفة طيبة جديرة بحب اكيو لها ..
وادرك « آي ـ وان » ان صاحبه لم يكن مبالغا في حديثه عن سيومي حين رآها تستقبلهما باسمة في ترحاب . وكانت سيدة قصيرة القامة ، بدينة ، ضاحكة الوجه ، خفيفة الحركة .. وقد وجد اكيو جالسا على الحصير في غرفة كبيرة بجوار ادوات الشاي ، يقرا صحيفة المساء . وكان آكيو الجالس في بيته الخاص ، يختلف أشد الاختلاف من آكيو الصامت المكتئب الذي قلما تنفرج شفتاه عن الابتسام . لقد كان آكيو في بيته لا يكاد يكف عن الحديث معهما والابتسام لهما ، ومداعبة سيومي .. وكان هادئا في حديثه ، حتى وهو يتحدث من الحرب قائلا انها شيء سخيف يدل على الحماقة البشرية ، وقد ردت سيومي على حديثه من الحرب ، وهي تقدم الشاي للشابين قائلة :

ـ انى لا ادرى لماذا يحل الناس مشاكلهم بالحرب رغم وجود وسائل اخرى كثيرة غيرها ..

ثم اردفت قائلة :

ـ أرجوكم ان تتحدثوا عن موضوع آخر غير الحرب .. فليس ابغض الى من الحديث عنها !

ولما انصرف الشابان قال « آى ـ وان » لبونجى فى دهشة :

ـ انها سيدة فاضلة كريمة .. وانه لعار ان يقاطعها والدك على هذا النحو !

فقال بونجى موافقا :

ـ اجل .. ولكن ، ماذا يمكننا ان نفعل ؟ انها كريمة فاضلة حقا ، ولكن ليس مقدرا لها ان تتزوج آكيو ..!

فقال « آى ـ وان » مندهشا :

ـ هل تعتقد ان كل انسان مقدر عليه ان يتزوج فتاة معينة ؟

ـ آه .. طبعا ، طبعا .. ان امى تقول هذا : لا شأن للحب بهذا الموضوع لان نجم كل انسان هو الذى يحدد نوع المرأة التى ستكون زوجته . وقد اخطأ اخى آكيو لانه رفض الزواج من الفتاة المقدرة له !

ـ اتعرف من تكون ؟

ـ نعم .. انها ابنة صديق لابى .. ولكن آكيو رفض ان يتزوجها، ويقول ابى ان تمرد آكيو على القدر سوف يجلب النحس عليه يوما !



وعاد « آى ـ وان » الى البيت ، واوى الى فراشه .. ولكنه لم يستطع ان ينام . لقد اخذ يفكر فى « تاما » وفى سفره قبل ان يراها .. وفجأة قال لنفسه :

« ولماذا لا أراها ؟ »

ثم انتصب جالسا فى فراشه ، واردف قائلا لنفسه :

ـ نعم .. لماذا لا اراها ؟ اننى لن اشعر بالراحة قط اذا لم ارها قبل السفر

واستبدت به الرغبة لرؤيتها .. وكان يعرف مكان غرفتها ، انها

ف الجانب الآخر من البيت .. بعد غرفة والديها . ويعرف ايضا ان المستر موراكي لايطيق هواء الليل ، قائلا انه سام ومضر .. ومن ثم هو يحرص على اغلاق الحواجز المؤدية الى الحديقة ، أما «تاما» فقد قالت ذات مرة انها لا تشبع من هواء الليل ، ولهذا فهي تترك الحواجز مفتوحة ف ليال كثيرة ..

وكان يعرف ايضا ان غرفتها تقع في مواجهه الشلالات الصناعية ذات الخرير العذب .. ف مواجهتها تماما . وكانت قد قالت ذات مرة ان اباها طلب منها في عيد ميلادها الماضي ، ان تحدد الهدية التي تريدها .. فقالت انها تريد الاقامة في الغرفه المواجهه للشلالات حتى تنام وتصحو على خرير المياه وهي تتساقط على الصخور !

وخطر ببــــال « آي ـ وان » ان في مقدوره ان يهتدي الى غرفة « تاما » عن طريق حرير المياه المتساقطة امامها .. فماذا عليه لو انه سار في ظلام الحديقة ، وتحسس طريقه الى غرفتها ؟..

لماذا لا ؟!..

الم يستطع آكيو ان يصر على رغباته ، وان ينال مايريد ؟ فلماذا يتردد هو ؟ ونهض من فراشه ؛ وتقدم الى حديقته الخاصه .. ثم دلف منها الى الحديقة العامة ، وسار في خطوات حــــذرة ، مطمئنا الى ان احـــــدا لن يراه في ذلك الظلام الدامس - وبعد ان تجاوز غرفة المستر موراكي ، واطمأن الى اغلاق حواجزها المطلة على الحديقه . ســــار نحو الشلالات حتى لمس بيده مياهها . ثم استدار ومشى في خط مستقيم الى ان لمست يده سياج الشرفة المؤدية الى غرفة « تاما » . وهناك قبع لحظات برهف السمع .. واستطاع اخيرا ان يسمع زفرة حرى ، وصوت يد تلقى على الحصير .. آه لعلها نائمه ، أو لعلها تحلم اثناء نومها . ولــكن لا .. انه يسمعها وهي تتنهد مرة اخرى بصوت يدل على انها في تمام اليقظة

وطرق باصبعه المعقوفة على الحاجز في حذر شديد ، ثم تريث .. وعاد يطرق مرة اخرى بعد ان اطمأن الى ان احدا خارج الغرفة لم يسمعه . ولمح من وراء الحاجز الشفاف خيالها وهي تنهض ، وتلتف بثوبها ، ثم ترهف السمع .. وخشي ان يستبد بها الخوف ، فهمس قائلا :

« تاما » ! ..

وسرعان ما انزلق الحاجز ، ثم بدت « تاما » راكعة امامه ، تقول في همس :

ـ « اي ـ وان » !؟

فقال متوسلا :

ـ « تاما » .. صفحا .. انني ساسافر الى يوكوهاما غداصباحا .. ولا ادري متى ساعود يا « تاما » .. ولكن يونجي قد اخبرني ان اباك غاضب منك ، وامرك بالتزام غرفتك ثلاثة أيام . انني لم استطع ان اسافر دون ان اراك !

ـ ولكن .. ولكن ابي سوف يعيدك الى الصين لو شاهدك هكذا

ـ انه لن يشاهدني .. اطمئني .. « تاما » .. ارجــــوك ان تساعديني ..

ـ اساعدك ؟..

ـ لا تكوني يابانية يا « تاما » .. وانما كوني انت فقط ـ كما ساكون انا ـ لاندعي التقاليد تملأ حياتنا بؤسا .. لقد كنا سعيدين امس .. امس فقط .. اليس كذلك ؟!

ـ اجل يا « آي ـ وان » كنا سعيدين حقا ..

ـ « تاما » .. لقد ذهبت الليلة مع يونجي لزيارة اكيو .. اكيو وسيومي . ولشد ما انا معجب باكيو يا « تاما » .. انه لا يدع احدا يتدخل في حياته الخاصة . نعم يجب على الناس ان يتذرعوا بالشجاعة ، ماداموا على حق ..

وقالت « تاما » هامسة :

ـ انني .. انني لا ادري .. لقد فاجأتني يا « آي ـ وان »

ـ اقتـــربي يا « تاما » .. دعيني المس يدك .. لا تنسي اني سارحل غدا ..

ورآها تطفىء القنديل الصغير في الغرفة ، ثم تقول وهي تضع يدها في يده :

ـ اخشى ان يرانا احد .. ارجوك يا « آي ـ وان » . لو شاهدنا احد ، فسوف يكون مصيري رهيبا ..

وكان « آي ـ وان » يعرف هذا ، حتى في الصين . كان يدرك

ان الفتاة التي تضبط متلبسة بمقابلة شاب غريب منها ليلا يكون الموت مصيرها !

وهمس قائلا :

ـ انني لن امكث هنا طويلا يا « تاما » .. اريد فقط ان اتحدث معك بشأن الجنرال سيكي .. انك لن توافقي على الزواج به .. اليس كذلك ؟

فقالت في حزم :

ـ ابدا .. !!

ـ آه .. لقد اسعدتني يا « تاما » . لسوف اعود يوما .. حتما

ـ وسوف تجدني في انتظارك يا « اي ـ وان »

ـ اجل يا « تاما » .. لا تتزوجي احدا غيري .. تزوجيني انا فقط !

وسمعها تهمس في اذنه قائلة :

ـ لن اتزوج احدا غيرك .!

واحس بالاختناق من فرط السعادة ، ولكنه قال :

ـ اترين هذا الظلام الذي يشملنا .. انه كستارة خاصة لنا !

ـ انه روح طيبة ارسلتها السماء من اجلنا ..

ـ اسمحي لي بالكتابة اليك يا « تاما » .. ان لدي الكثير مما اريد ان اقوله لك ولكن .. لا .. كيف ارسل خطاباتي اليك ؟

ـ ارسلها الى سيومي . وسوف تحتفظ بها من اجل حتى اذهب لزيارتها ..

فهتفت في سعادة بالغة :

ـ آه ! ما اجمل هذا .. ان ذلك لم يخطر ببالي وانا ازورها ، ولكن الاقدار ، كما يبدو تحابينا ..

فقالت بجد ووقار :

ـ اجل يا « اي ـ وان » .. انها الاقدار .. انها معنا ..

واحس بالرغبة في البكاء وهو يقول :

ـ انها معنا يا « تاما » لاننا مخلصان في حبنا .. لان الهدف من هذا الحب شريف ومشروع ..

المأساة ...

ل « آى ـ وان » الطائرة من ناجازاكى مع آكيو . وكانت طائرة ركاب كبيرة ذات ثلاثة محركات . وقد قال آكيو انهم سيركبون طائرة اخرى صغيرة بعد عبورهم البحر . ومن نافذة الطائرة كان « آى ـ وان » يرى جزيرة كيوشو فى ناجازاكى . وهى الجزيرة التى يقع فيها بيت المستر موراكى . وقال « آى ـ وان » لنفسه وهو يرنو الى الارض الخضراء الممتدة تحته:

ـ هناك . . فى مكان ما . . تقيم حبيبتى « تاما »

واشار آكيو الى سلسلة من القلاع والحصون والتحصينات القوية على طول الشاطىء ، ثم قدم منظاره المكبر الى «آى ـ وان» وقال له :

ـ هل ترى هذه السلسلة من الاستحكامات القوية التى تواجه الشرق والجنوب والغرب !

ـ نعم . ولكن يبدو انكم تسرفون فى هذه التحصينات . وكأنكم تتوقعون ان يهاجمكم الاعداء من كل ناحية ؟

فضحك آكيو وقال :

ـ عندما يجد شعب صغير نفسه ، بين شعوب قوية كثيرة العدد تعاديه ، فلا يسعه الا الاستعداد دائما للدفاع عن نفسه . .

ـ وهل تتوقعون ان تقوم حرب بينكم وبين غيركم ؟

فتردد آكيو برهة ثم قال :

ـ اعتقد هذا . . او على الاقل هذا ماتعلمناه دائما فى المدارس ، وهو ان علينا ان نتوقع نشوب الحرب فى اية لحظة

ولما ركبا الطائرة الاصغر حجما ، قال « آى ـ وان » ردا على

حدبث آكيو بشأن الحرب :

ــ يلوح لي انكم تسرفون في الاستعداد لحرب لم تقع بعد !

ــ هذه فلسفتنا ..

فسأله « آي ــ وان » في فضول :

ــ هل تريد حربا يا آكيو ؟

فقال آكيو ، بعد ان تردد برهة ، كان خلالها يمسح زجاج نظارته :

ــ لا .. انني لا اؤمن بالحروب . ولعل هذا يرجع الى اني اعتنق الديانة البوذية التي تحرم قتل الاحياء لاي سبب ..

ــ ولكن اذا جندتك الحكومة للقتال ؟

فتردد آكيو برهة ثم قال :

ــ انني لم استقر بعد على راي في هذا الشأن

وبدا على آكيو من الاضطراب والقلق ماجعل « آي ــ وان » يسرع الى القول معتذرا :

ــ لا داعي للقلق .. انه سؤال سخيف !

وساد الصمت بينهما بقية الرحلة .. وكان « آي ــ وان » مشغول الفكر بحبيبته ، يدير في ذهنه العبارات التي سوف يكتبها اليها في رسالته الاولى .. وكانت هذه الكلمات قد بدأت تتبلور في ذهنه « عندما اخذت الطائرة تحلق بي في السماء ، كنت اشعر اني تركت على عتبة غرفتك قلبي كطائر كسير الجناح .. »

وافاق من احلامه عندما هبطت الطائرة في مطار يوكوهاما .. وكانت يوكوهاما مدينة تجارية نابضة بالحياة الغامرة الثائرة . ولم تكن فيها منازل ذات حدائق غناء . ولا مكان للراحة والهدوء . وانما شوارع مزدحمة بالمارة ووسائل المواصلات ، وبيوت منخفضة كبيرة المساحة ، كلها دميمة الشكل ، مشيدة بالاسمنت ، ومن طابق واحد . ولما سأل « آي ــ وان » صاحبه اكيو عن السر في هذا ، قال له :

ــ انها بيوت مضادة للزلازل .. فقد حدث منذ عهد قريب زلزال هدم كل منازل المدينة ومبانيها .. ولكننا معشر اليابانيين لا نعرف اليأس ، فعدنا ننشئها من جديد . ولكن حرصنا هذه

المرة على ان تكون جميع البيوت والمنشآت ذات طابق واحد ، ومن الاسمنت المسلح ، وعلى مساحة كبيرة ..



وكانت ادارة شركة «موراكي واولاده» تقوم في بناء من هذا الطراز الدميم الشكل . ودخل « آي ـ وان » مع آكيو الى غرفة الاستقبال التابعة لمدير ذلك الفرع ، سيو ، واسرعت السكرتيرة اليابانية ، وكانت سيدة قصيرة دميمة ذات نظارة سميكة ، تعلن قدومهما الى المدير سيو موراكي ..

وبعد لحظات من الانتظار . شاهد « آي ـ وان » رجلا في نحو الثامنة والثلاثين ، بدينا قصيرا ، ملوح البشرة ، اصلع الراس ، يخرج من غرفة مكتبه ليودع عميلا امريكيا كان معه .. وكان يقول له في تلك اللحظة :

ـ حسنا ياموراكي ! اتفقنا .. ولكن اية خسارة او تكسير سوف تتحملها شركتكم ..

فقال سيو بصوت مرتفع واضح :

ـ لن تحدث اية خسائر اثناء الشحن .. اطمئن

وبعد انصراف العميل الامريكي ، اتجه سيو الى اخيه آكيو ، وقال له باسما :

ـ هاه ! كيف حالك ؟

ورد آكيو قائلا وهو ينهض في احترام :

ـ بخير .. هذا هو « آي ـ وان »

وابتسم سيو مرة اخرى ، وقال :

ـ هاه ! لقد كتب ابي عنك ، ويبدو انه شديد الاعجاب بك .. تفضلا بالدخول الى المكتب ..

وفي غرفة المكتب ، قال سيو لاخيه آكيو ، بعد ان رحب مرة اخرى « باي ـ وان » :

ـ كيف حال الاسرة جميعا يا آكيو ؟

فنظر آكيو بطرف عينه الى « آي ـ وان » ثم قال في تحفظ :

ـ بخير ..

وتناول « آي ـ وان » احدى الصحف ، وتظاهر بالانشغال

قراءتها حتى تسنى للاخوين ان يتحدثان بحرية .. وفي اثناء حديث « كيو » مع اخيه عن شئون الاسرة ، سمعه « آي ــ وان » يقول :
ــ ولهــــذا فان ابي غاضب عليها جــدا ، وقد قرر ان يقول للجنرال سيكي ان الزواج قد تم في اي يوم ..
واحس « اي ــ وان » ضدنند بالارض تميــد تحت قدميه ، فوضع الصحيفة في اعياء وقد ازداد وجهه شحوبا ، ويبدو ان سيو لاحظ ما طرأ عليه من اعياء ، فقال له :
ــ يمكنك ان تذهب الى غرفتك الخاصة اولا لتستريح ..
ــ ارجو هذا .. وشكرا ..
ــ لا داعي لان تتعجل .. تناول طعامك ، واسترح بقية اليوم . ان لدينا اتصالا كثيرة ، ويمكنك ان تستلم عملك غدا صباحا .. وتأكد ان العمل هنا موفور لان الكنوز تنهال علينا من جميع انحاء الصين ..
وتساءل « اي ــ وان » في نفســه : « ما معنى هذا ؟! »
وصحبته السكرتيرة الدميمة الشــكل الى بناء قريب من مركز الادارة ، حيث يقيم الكتبة والموظفون الغرباء . وكان ايضا بنــاء ضد الزلازل ، مكونا من طابق واحد ، يحتوى على عشرات من الغرف ..
وتناول احد الكتبة المشرفين على ادارة دار الاقامة مفتاحا ، وسمعه يقول له :
ــ الغرفة الحادية والخمسين ..
ووجد في تلك الغرفة سريرا ، ومقعدا ، ومكتبا ، ودورة مياه صغيرة ملحقة بها ، وكانت الجدران والارضية مشيدة كلها بالاسمنت ..
وبعد ان جلس برهة مستغرقا في التفكير ، وثب الى مكتبه وراح يكتب الى « ناما » خطابا كان يرجو ان يصل الى ناجازاكي في نفس الطائرة التي جاءت به . وقد استهل خطابه بقوله :
« ناما .. لقد سمعت خبرا مزعجا اشاع في نفسي الاضطراب »
ثم راح يكتب لها بحرارة قائلا ان عليها ان تلتمس اي مخرج ، وانه في انتظار ردها لانه لن يستطيع ان يعرف طعم النوم او

الراحة او الأكل حتى يطمئن ..

ونهض في الصباح على ضحكات زملائه المقيمين في الصرمات الاخرى ، ولم يلبث أن اغتسل ، وارتدى ملابسه ، وتناول طعام الافطار في المطعم الملحق بالدار ، ثم مضى الى مكتب سيو ، حيث وقف ببابه مترددا عندما راى سيو منكبا على مكتبه . واخيرا سعل سعلة خفيفة .. فرفع سيو راسه ، وابتسم له في رفق ، ثم قال له :

ــ سعدت صباحا .. ارجو اذا سمحت ان تمضي مع سكرتيرتي لكي تتسلم عملك ومكتبك الخاص . وهذه هي قوائم السلع الواردة الينا اليوم ، ارجو ان تضاهيها بما ستحمله السفن الينا من الصين اليوم .. اذا وجدت اي اختلاف فاطلب مني مساعدتك

وشكره « آي ــ وان » ، وسار مع السكرتيرة الى غرفة كان بها نحو ثمانية من الكتبة الموظفين .. لم يحاول احدهم ان يرفع راسه من عمله ، لكي يرى هذا الزميل الجديد . ولكن هذا لم يكن يمنعهم من اختلاس النظر اليه من وراء نظاراتهم السميكة ، بين الحين والآخر ..

وجلس هو مستغرقا في افكاره برهة .. ولكنه لم يلبث ان افاق على صوت رجل واقف في باب المكتب ، يقول له في رفق :

ــ آه .. هل انت المستر « آي ــ وان » الموظف الجديد ؟

ــ اجل ..

ــ هل استلمت عملك ؟

وادرك « آي ــ وان » من هذه العبارة ان عليه ان يقوم بعمله مادام قد استلمه ، فاضطرب وجهه خجلا ، وانكب على عمله ..



ووصل خطاب « تلما » بعد ثلاثة ايام . وقد قالت له فيه :

« علينا ان نتدرع بالصبر ، ولا شك اننا لن ننال الا ما قدرته الحياة علينا »

وفي رسالة اخرى ، قالت له ان امها تبذل جهدها لتاجيل الشروع في زواجها من الجنرال سيكي ، وان جبة امها في النماس

الاعذار ، وابتكار اسباب التأجيل ، لم تفرغ بعد !

واطمأن « آى ــ وان » بعض الشيء ، حين ايقن ان « ماما » لا تقف بمفردها فى هذه المعركة ..

وظل طيلة عام كامل ، وهو يرسل اليها الخطابات بانتظام ، وكانت رسائلها اليه دائما ذات طابع واحد : قصيرة ، ورقيقة ، وخالية من الاستطراد . وكانت تطالبه فيها دائما ان يتذرع بالصبر ، وان يثق تماما ان الانسان لا يمكن ان ينال الا ما تريده الاقدار له !

وكان ذلك العام الذى امضاه « آى ــ وان » فى يوكوهاما من اطول واقسى الاعوام التى مرت فى حياته . ولم يكن يضنيه فقط شوقه الدائم الى « ماما » ، وانما كان يضنيه ويحيره ايضا ذلك السيل الذى لا ينقطع من كنوز بلاده الذى كان ينهال على تجار اليابان ، وشركات الاستيراد والتصدير

وكان رغم قيامه بعمله على الوجه الاكمل ، لا يملك نفسه من التساؤل : لماذا تفرط بلاده فى هذه الكنوز التى لا تقدر بثمن ؟! هل الحكومة هى التى تجمعها وتبيعها للشركات اليابانية من اجل الحصول على حاجتها من المال . أو ان الجماعات اليابانية الموجودة فى شمالى الصين هى التى تنهب هذه الكنوز وترسلها الى الشركات اليابانية ؟ .

وفى ذات يوم ، عاد الى غرفته فى دار الاقامة بعد ان فرغ من اعماله ، فاذا هو يجد صديقه يونجى موراكى راقدا فى فراشه !

وتسمر فى مكانه برهة ؛ وهو يرى يونجى للمرة الاولى بعد عام كامل .. وكان قد فوجىء بما عليه من دمامة تشكل ملفته للنظر .. انه لم يكن يرى هذه الدمامة من قبل .. اما الآن ، فانه يراها واضحة وكان المسكين « بهلوان » فى سيرك كل مهمته ان يضحك الناس من دمامته !

لقد خيل اليه أنه يشاهد يونجى لأول مرة . بقامته القصيرة . وساقيه المقوستين ؛ وشعره الشائك ، ووجهه الاسمر الشاحب ، وانفه المرتخى المفلطح ، وعينيه الصغيرتين ، وفمه الواسع ،

واسنانه البارزة ، مما جعله اقرب الى القرد منه الى مخلوق آدمي !

ويلوح ان يونجى احس به ، اذ انتصب جالسا ، وقال هاتفا :

ـ اوه .. هل حضرت يا « آي ـ وان » ؟

ـ لماذا جئت ؟ ...

فتثاءب يونجى ، كأنما استيقظ لتوه من النوم . وقال :

ـ لا ادرى .. لقد جئت انا وآكيو بعد ان صدرت الاوامر الينا لنقدم انفسنا الى ادارة التجنيد العسكرى فى طوكيو . وقد وصلنا الى يوكوهاما منذ نصف ساعة ، فقررت ان آتى اليك لنلهو معا بعض الوقت قبل ان نواصل السفر ..

ـ واين آكيو ؟

فضحك يونجى كعادته ، وقال :

ـ لا ادرى .. لقد جاءت معه سيومى .. ولعلهما الان سفرحان على بركان « فوجى ـ سان » فى ضوء القمر

ثم اردف قائلا بعد ضحكة اخرى :

ـ انهما يحبان « فوجى ـ سان » ، وقد اعتادا ان يصعدا اليه فى كل صيف مرة ..

ـ ولماذا استدعتكما ادارة التجنيد فى طوكيو ؟

ـ هذا ما سوف اسأل السلطات المسئولة عنه .. ان كبار العسكريين يحبون ان يستدعوا الاحتياطى مرة كل عام . ليطمئنوا على لياقتهم العسكرية .. انهم لا يفكرون الا فى الحرب فقط . والان .. ما رأيك لو قضينا السهرة فى ملهى ليلى ؟

ولم يسع « آي ـ وان » الا ان يقبل ..

وبعد ان عادا فى منتصف الليل . قال « آي ـ وان » ليونجى :

ـ يونجى .. ماهى اخبار « تاما » ؟

ـ كنت انتظر منك هذا السؤال .. لقد اعطتنى خطابا ، وطلبت منى ان اسلمه اليك ، بعد ان اذكر لك ما لدى من انباء عنها .

وتناول من جيبه مظروفا صغيرا ، وقال وهو يقدمه الى « آي ـ وان » :

ـ ان آخر الانباء عنها ، فى ايجاز . هى ان ابى قد قرر اخيرا ان

تتزوج الجنرال سيكي في خلال هذا الشهر .. !

وانتزع « آي ـ وان » الرسالة وفضها بيدين مرتعدتين . وقد شحب وجهه ، واحس كان اصابع رهيبة تعتصر قلبه !

وقرا في الرسالة ما يلي :

« آي ـ وان » .. قلت لك مرة انني لن اتزوج احدا غيرك .. ولكن ابي اخبرني ان الحرب اوشكت ان تنشب بيننا وبين الصين . وهذا يقلب كل شيء راسا على عقب .. حتى والدتي اصبحت تقول ان واجبي نحو وطني والامبراطور ، يحتم على الزواج من الجنرال سيكي الذي سيمضي ليحارب في سبيلنا جميعا . ونحن اليابانيين قد نشانا على تقديس الواجب .. هكذا شاءت الاقدار : « تاما »

وانعقد لسان « آي ـ وان » برهة عن الحديث . ولكنه استطاع اخيرا ان يقول بصوت مختنق :

ـ ايهما اسرع في الوصول الى ناجازاكي .. القطار ام الطائرة ؟ !

ـ لماذا ؟ ..

ـ لاني اريد رؤيه « تاما » في اسرع وقت ..

فهز بونجي كتفيه ، وقال :

ـ انني مسافر غدا لاسجل اسمي .. ويمكنني ان احمل اليها خطابا منك اذا شئت . وهذا في رايي اضمن واجدى : لانك لاتستطيع ان تنفرد بـ « تاما » حتى لو سافرت اليها ..

فعانق « آي ـ وان » صديقه وشكره بحرارة ، فابتسم الشاب ، وقال :

ـ الواقع انني افضل كثيرا ان تتزوج انت اختي ، على ان تقضي حياتها الناضرة مع ذلك العجوز المتعجرف .. دعني استغرق في النوم الآن . لان على ان اصحو مبكرا ..

وكتب « آي ـ وان » رسالة الى « تاما » قال فيها انه لا يستطيع باية حال من الاحوال ان يجعل هذه الخلافات بين بلديهما تؤثر في حياته ، وتقضي على سعادته ، وان هذه الحرب التي تتحدث الصحف عنها ليست الا مناوشات بسيطة ، لن تلبث ان تنتهي بالصلح ..

وفي الصباح ، افترق الصديقان ، فذهب « آي ـ وان » الى ادارة فرع الشركه ، ومضى بونجي ليلحق بقطار التاسعة المسافر

الى طوكيو .

وظل في مكتبه بالادارة نحو ساعة . وهو مستغرق في التفكير ، حتى سمع فجأة صوت انسان يبكي ويصيح . وادرك فورا انه بونجي . فاسرع اليه ليراه في حالة يرثى لها من الحزن والبكاء . فلما سأله عما الم به . قال بونجي وهو ينشج :

ـ اين سبو . اين سبو !

ـ انني لم اره بعد .. ماذا حدث يابونجي ؟. ماذا حدث ؟

وكان بونجي ممسكا بخطاب مفتوح في يده ، فقدمه الى «آي ـ وان» وهو يقول باكيا :

ـ انه اخي آكيو .. آكيو .. اقرأ هذا

واختطف « آي ـ وان » الخطاب ، وقرأ فيه ما يلي :

« الى ابي ، وامي ، واخوتي .. لقد فكرت طويلا فيما انا مقدم عليه . انني اعرف لماذا استدعتني الحكومة لتسجيل اسمي . انها تريد ان تبعث بي وبامثالي الى الصين لنحارب . ولكنني لا ارى سببا يدعوني لان اقتل اناسا ابرياء في بلادهم . ومع ذلك فلو رفضت الذهاب سوف اعرض حياتنا وحياتنا . ومن ثم قررت ان اموت مع « سوميكو » في موجة بركان « بونجي ـ سان » . وعندما تقرأون خطابي هذا ؛ نكون قد انتقلنا معا من هذه الحياة الى حياة اخرى .. »

وغمغم « آي ـ وان » في دهشة وحزن :

ـ متى ! متى حدث هذا !

ـ عندما وصلت الى المحطة لاستلم تذكرة سفري ، ناولني الموظف هذا الخطاب . وقال انه تركه لي . ولما قرأته انفجرت باكيا ، ولكن احد الضباط الواقفين قال ـ بعد ان عرف الامر ـ ان آكيو خائن ، انه ليس من حقه ان يتصرف بحياته على هذا النحو !

وقال « آي ـ وان » بصوت خافت ، حين عاد بونجي الى البكاء بحرقة :

ـ وهل عرف سبو بالماساة ؟

ـ لا .. لم يعرف بعد .. انني جئت لاخبره ..

ولما علم سبو بما حدث ، قال والدموع تملأ عينيه :

ــ كنت اعرف ان آكيو سيفعل هذا يوما .. لقد طالما قال لى انه يفضل ان يقتل نفسه ، على ان يقتل شخصا آخر بريئا ، وبلا مبرر معقول !

ثم اردف قائلا :

ــ عليك ان تمضى الى والدك يابونجى لتخبره بالماساة ..

فهز بونجى راسه ، وقال :

ــانى لا استطيع .. لقد منحنى رئيسى هذه الساعات القليلة لاخبرك بالماساة .. وسوف امضى من طوكيو ــ كما علمت ــ الى منشوريا راسا حيث اصلها فى خلال ثلاثة ايام ، هذه هى الاوامر الاخيرة ..

ثم اردف قائلا بحزم :

ــ ويجب ان اطيع هذه الاوامر لانى يابانى مخلص

وقال « آى ــ وان » مشفقا :

ــ اننى اقدر مشاعرك يابونجى ..

ثم خطرت بباله فكرة سريعة ، جعلته يلتفت الى سبو ، ويقول :

ــ اذا اردت ان تثق بى ولجعلنى اذهب الى ابيك ، بدلا من بونجى ، فانى على استعداد لهذا ..

وكان يشعر فى تلك اللحظة ، ان يد الاقدار تحرك خيوط مصير حبه لـ « تاما » ..

وقال سبو بعد برهة صمت

ــ اذهب اذن .. واطلب من ابى الا يشتد غضبه على آكيو

وهكذا فتحت هذه الماساة الطريق لـ « آى ــ وان » نحو « تاما » من جديد



دماء الحب

كانت راكعة على ركبتيها بهدوء ، وراء والديها ، عندما اخذ « اى ـ وان » يذكر لهم مصاحبت . وكان المستر موراكى قد استقبله اولا على انفراد . فلما علم بالامر ، استدعى زوجته وابنته ، ليسمعا ايضا ما حدث . وفيما كان المستر موراكى يقرا خطاب اكبو ، كانت الدموع تنهمر من عينى المستر موراكى فى صمت وسكون

واخيرا قال الوالد بهدوء :

ـ لن نقيم الحداد على ابن عاق لابيه ولامبراطوره .. ولا احب ان يذكر احد اسمه امامى بعد اليوم !

واردف قائلا ، بعد برهة صمت :

ـ هذا هو كل شىء .. اما انت يا « اى ـ وان » فلا شك انك تحتاج الى الراحه . . سوف تبيت ليلتك هنا قبل ان تعود الى عملك غدا

وقال « اى ـ وان » وقلبه يخفق بقوة :

ـ شكرا يا سيدى ..

انه يعرف الطريق الى غرفة « ناما » ليلا .. وانه يعرف ماذا سيقول لها بدلا من ان يكتب خطابا ؛ ويتركه لتقراه ..

وقالت الوالدة فى خضوع لزوجها :

ـ هل تسمح لنا بالانصراف ايها السيد ؟

واوما المستر موراكى براسه . وحول « اى ـ وان » بصره بسرعة نحو « ناما » . فراها تنظر اليه بعينين دامعتين ، ولكنه ح فى نظراتها الحب والتوسل ، فادرك انها تنتظره الليلة ..

.في منتصف الليل ، وقف امام باب غرفتها المفضي الى الحد .
وكان القمر في تلك الليلة ساطعا ، فحرص على ان يختفي وراء احد الاعمدة الخشبية التي تقوم عليها الشرفة .. وما كاد ينقر بزرق على الحاجر ، حتى انزلق بسرعة ، واذا « تاما » واقفة امامه وقد بدا وجهها في ضوء القمر شاحبا . ووضعت اصبعها على فمها ؛ وانساب عطرها الى انفه ، ثم الى قلبه .. وسمعها تهمس في اذنه قائلة :

ـ هلم نقف في ظلال الشرفة

وكان همسها ارق من رفرفة جناح طائر .. وتقدم معها نحو ظلال الشرفة ؛ ثم مد ذراعيه وضمها الى صدره بكل ما في قلبه من حب وشوق ولهفة . وكانت تلك اول مرة يضم فيها فتاة الى صدره ، ويحس بجسمها ملتصقا بجسمه . وبقيا متعانقين برهة طويلة دون ان يتحركا ، واخيرا انفصلت عنه وهي تقول بانفاس لاهثة :

ـ تصور انني كنت انوي الا اراك ، او القاك ابدا ، يا «آي ـ وان»!

ـ هذا هو المستحيل يا « تاما » .. لانك اينما ذهبت كنت ستجدينني امامك ..

ـ كيف .. كيف ؟

ـ انه الحب يا « تاما » ..

ـ ولكن الحرب ...

ـ لن تكون بيني وبينك ابدا يا « تاما »

ـ لا .. لا .. لا استطيع .. يجب ان اؤدي واجبي نحو ابي ووطني ..

فهمس بحرارة قائلا :

ـ ليس هناك واجب يحتم عليك الزواج برجل عجوز تكرهينه .. هذه جناية وليست واجبا !

فقالت متوسلة :

ـ لا يا « آي ـ وان » .. ان كل شيء يتغير هنا في حالة الحرب .. ان على الرجال ان يحاربوا ، وعلى النساء ان ينجبن الابناء ..

فقال متأسفا :

ـ « تاما » ؟ أهذه آراء فتاة عصرية ؟ !

ـ لا .. ولكن ماذا في وسعنا أن نفعل ؟

فضمها الى صدره مرة أخرى بقوة . حتى شعر بقلبها يخفق مع قلبه . ثم قال :

ـ سنهرب معا .. سنهرب الى مكان ما في العالم ليست به حروب . وليست فيه فوارق انسانية .. الى مكان نعيش فيه حبيبين وزوجين !

ـ ليس في العالم مكان كهذا يا « آي ـ وان » !

ـ بل فيه .. عديني فقط الا تتزوجيه . وسوف أدبر كل شيء من أجل سعادتنا

وعندئذ سمعا وقع اقدام خفيفة في الحديقة ، وتكسر غصن شجرة . فاستبد بهما الرعب . وتعلق كل منهما بالآخر برهة . ولما رأت « تاما » والدها مقبلا في ضوء القمر . أمسكت بذراع«آي ـ وان» وجذبته الى عرفتها ، وأعادت الحاجز الى مكانه . ووقفت معه وراءه كاتمة أنفاسها . وتقدم الوالد نحو الشلالات . ثم سمعاه يتوقف برهة ويتنهد ، ثم اذا بخطواته تبتعد الى الجانب الاقصى من الحديقة ..

وقالت « تاما » في خوف :

ـ انصرف الآن يا «آي ـ وان »

فقال وهو يقبل وجنتها العاطرة :

ـ عديني الا تتزوجي الجنرال العجوز ..

ـ أوه .. ارجوك .. ارجوك ..

ـ عديني على الاقل أن تنتظري حتى نعلم هل هي حرب حقيقية او مجرد مناوشات بسيطة

واحس بشفتيها الورديتين على خده وهي تقول :

ـ اعدك بهذا ..

وانقلت مسرعا الى غرفته ، وقلبه مفعم بالرضا ..

بعد أن تناول « آي ـ وان » طعام الافطار في صباح اليوم التالي،

مضى الى الغرفة التى خصصها المستر موراكى لاستقبال الضيوف . وجلس على مقعد فيها ينتظر رب البيت حتى يأتى ويزوده بالتعليمات الاخيرة قبل رحيله . ولم يلبث ان فوجىء بدخول المستر موراكى . ومعه رجل كهل فى حلة عسكرية يابانية . وقد أدرك من النظرة الاولى انه الجنرال سيكى عريسه المنشود فى مشروع الزواج بـ «تاماه»

ويبدو أن المستر موراكى فوجىء بعودة حين رأى «آى ـ وان» .. ولكنه تمالك نفسه بسرعة وقال للجنرال :

ـ هذا هو «آى ـ وان» .. ابن صديقى المستر «واى ينج سين»

ثم قال لـ «آى ـ وان» :

ـ هذا صديقى الجنرال سيكى ..

وأومأ الجنرال برأسه فى ترفع للشاب الذى قال معتذرا للمستر موراكى :

ـ كنت على وشك الرحيل ياسيدى ..

وهنا قال له الجنرال بصوته الآمر :

ـ لا .. يمكنك ان تبقى معنا قليلا ..



ودهش المستر موراكى، ولكنه لم يقل شيئا . وجلس «آى ـ وان» مضطربا على حافة المقعد . وقد ازداد شعوره بالنفور من هذا الكهل القصير البدين الذى بدا وجهه المتجهم فوق عنقه الغائر بين كتفيه ، كوجه سلحفاة عجوز !

وعاد الجنرال يقول له :

ـ انك قد تدلى الى بمعلومات معينة .. هل تعرف فروع بنك والده المنتشرة فى اقليم منشوريا ؟

وقرر «آى ـ وان» فورا ألا يخبره بشىء . ومن ثم قال :

ـ لا .. لا أعرف ..

ـ هذا عجيب ؟ ولكن لا أهمية لهذا الامر . فان لدى المعلومات اللازمة فى مركز القيادة . وانما كنت أريد فقط ان أعرف بعض التفاصيل .. حسنا .. هل تعرف المسافة بين بيكنج وهاربين ؟

ـ لا .. لقد أمضيت معظم سنوات حياتى فى شنغهاى ..

ولاحظ «آى ـ وان» عرقا ينتفخ فى عنق الجنرال من فرط الحنق . ولكن هذا لم يلبث ان هز كتفيه . ثم التفت الى المستر

موراكي ، وقال له بلهجة آمرة :

ـ ليبق كل شيء على ما هو عليه .. انها لن تكون حربا حقيقية ، وانما مجرد حملة تأديبية للقضاء على الصينيين المتمردين . وهي لن تستغرق أكثر من ثلاثة أسابيع . ووقتي لن يتسع للزواج السريع، لاني سوف أسافر اليوم الى منشوريا . وعندما أعود ، سوف أظفر باجازة طويلة ..

ثم أردف قائلا ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ماكرة :

ـ واعتقد انها ستكون أسعد اجازة في حياتي ..

ولم يستطع « آي ـ وان » ان يحتمل منظر ذلك الرجل أكثر مما فعل ، فنهض واستأذن للانصراف .. ثم أسرع الى غرفته حيث وقف برهة أمامها ، وقد رأى ان عليه البحث عن « تاما » بأية وسيلة ليحدثها بما سمع ، ويؤكد لها ان الحرب المزعومة ، لن تكون حربا حقيقية ..

ومرت به خادمة تحمل اناء مليئا بالزهور ، فاستوقفها وقال بلهفة :

ـ أين « تاما ـ سان » !

فقالت الخادمة مندهشة :

ـ في الشرفة الشرقية ياسيدي تنسق الازهار

وغامر بالذهاب اليها ، رغم أنه لم يكن قد دخل الى الغرفات الداخلية للبيت قبل ذلك . واستطاع ان يهتدي اليها حيث رآها في شرفة مربعة صغيرة وراء المطبخ ، فقال لها وقد اطمأن الى انهما منفردان :

ـ « تاما » ..

ـ أوه .. « آي ـ وان » كيف جئت ؟ .. ولماذا ؟

ـ انه رهيب .. فظيع ..

فقالت بهدوء وهي تعود الى تنسيق الزهور :

ـ نعم يا « آي ـ وان » .. انه فظيع الشكل .. لقد رأيته أمس فقط بعد أن وعدت ..

فقاطعها « آي ـ وان » قائلا بلهفة :

ـ لن تكون هناك حرب حقيقية بين بلدينا .. مجرد مناوشات

فقط . لن تستمر اكثر من ثلاثة اسابيع - لقد سمعت سبكى يقول هذا الآن . وتاكدى ان رجالا مثل ابى لن يسمحوا بقيام حرب بين الصين واليابان .. ان لأبى نفوذا كبيرا .. وأموالا ..

وتوقف فجأة وقد شعر بالخجل من هذا الزهو .. وابتسمت « تاما » فى رفق وقالت بصوت متهدج :

ـ اذا لم يكن هناك حرب ، فلاشك أن الاوضاع سوف تتغير .. ولا اظن ان ابى سيستطيع ان يرغمنى على الزواج بهذا الرجل البغيض !

واسرع « آى ـ وان » يقول ، وقد رأى الخادمات قد بدان يتجمعن بالقرب منهما :

ـ سوف اطلب يدك من ابيك بالطريقة التقليدية .. سأرسل اليه وسيط زواج محترفا ليتفاهم معه على كل شىء ..

ثم نظر طويلا فى عينيها ، وانحنى أمامها ، وانصرف ..

ولم يرها ، بعد ذلك ، حتى غادر البيت فى طريقه الى يوكوهاما ..



واعلنت الصحف اخيرا انه لن تقوم الحرب فى منشوريا ، وان عصبة الامم تدخلت فى النزاع ، وان « شيانج ـ كاى ـ تشيك » لايريد أن يدخل فى حرب دموية مع اليابان . وانتعشت من ثم آمال « آى ـ وان » ، وادرك أن أباه كان وراء هذه الحركة التى تدعو الى السلام بين الصين واليابان ..

وبدا فى اتخاذ الخطوات العملية للزواج « من « تاما » ، فارسل اولا الى ابيه يستأذنه فى الموافقة على هذا الزواج ؛ ورد ابوه قائلا انه يوافق ويبارك هذا المشروع . ثم اتصل الشاب بوسيط محترف ، واتفق معه على الاجر المناسب . وكان الوسيط رجلا يابانيا عجوزا خبيرا بهذه الامور ، فوعد بالسفر فورا الى ناجازاكى ليقوم بدوره ، ثم يعود ..

وراح « آى ـ وان » ينتظر بفارغ الصبر .. ومرت الايام سريعة وهو ممزق النفس بين اليأس والرجاء ، ولكنه كان حريصا على القيام بعمله بكل ما وسعه من جهد واخلاص ، حتى اصبح موضع ثقة واعجاب الاخ الاكبر سيو

وفى اليوم الثامن عشر من الشهر التالى ، عاد ذات مساء الى غرفته ليرى الوسيط العجوز فى انتظاره · وعندئذ هتف قائلا حين رآه ينهض وينحنى تحية له :

ــ اين كنت ؟ وماذا فعلت ؟

فقال العجوز فى وقار :

ــ كنت اقوم بعمل ·· وكان على أولا أن ابحث للجنرال سيكى عن زوجة مناسبة حتى اربحه من طريقك · وقد انتهزت فرصة لهفته على الزواج بابنة فتاة حسناء فى ميعة الصبا ، واقترحت عليه ان يتزوج ابنه رجل موفور الثراء واسع النفوذ ··

ــ وماذا تم ؟ ··

ــ انتهينا من غريمك ، وخطب فتاة اخرى ··

ــ و « تاما » ؟ !

ــ ارغمت أباها للموافقة على زواجها بك ، حين قالت انها سوف تقتل نفسها اذا لم يقبل ·· ثم شرعت فعلا فى الانتحار ··

وشحب وجه « آى ــ وان » وقال :

ــ وهل ؟ ··

ــ انتظر لحظة أيها الشاب ·· لقد رايتها بعينى هاتين تقطع شريان يدها اليمنى ، فانبثق الدم غزيرا ·· ثم شرعت فى قطع شريان يدها اليسرى · وكان ذلك أمامنا جميعا ، وعندئذ صاح بها والدها يامرها بالتوقف قائلا انه يوافق على هذا الزواج ··

ولكن « آى ــ وان » عاد يصيح وقد ازداد فزعا

ــ و « تاما » ! ماذا حدث لها .. كيف حالها ؟

ــ انها بخير ·· لقد امكن انقاذها وتضميد جرحها ··

ثم اردف قائلا ، وهو يغمز بعينه :

ــ لقد عرفت كيف تسكب دماها من اجل الحب حتى تنتصر ··

وضحك « آى ــ وان » وقال :

ــ سوف اجزل لك العطاء أيها الشيطان العجوز ·· !



انتصار الحب

عاش « آى ـ وان » فى شبه دوامة من السعادة واللهفة خلال الايام التى سبقت حفله الزفاف . وكان قد ذهب مع الوسيط الى المستر موراكى ، وقام باجراءات الخطبة رسميا ، واتفقا على كل شيء . وحددا موعد الزفاف ·· ولكن كان محرما عليه ان يرى «ناما» خلال الفترة التى تسبق هذا الموعد ··

وتم الزواج والزفاف فى اكبر فنادق المدينة . وشهده العظماء والاعيان وجميع اقارب العروس ·· وكانت هى اثناء عقد القران جالسة بجانبه ـ بين باقات الازهار ـ وقد زينت على الطريقة اليابانية التقليدية . اذ صبغ وجهها بالاصباغ الحمراء والبيضاء حتى كاد الا يعرفها ..

وبعد ان تمت جميع المراسم التقليدية : سمع الوسيط الذى كان عليه أن يشهد جميع الاجراءات حتى النهاية . يقول له هامسا .

ـ تستطيع الآن أن تغير ملابسك وتمضى بعروسك ·· ان السيارة واقفة أمام مدخل الفندق فى انتظاركما ··

ونهض « آى ـ وان » الى غرفته المحجوزة له فى الفندق . وخلع ملابس الزفاف التقليدية . وارتدى ملابس افرنجية كان قد اعدها لهذه المناسبة . ثم خرج وتناول ذراع « ناما » . وهبط معها الى مدخل الفندق . والمدعوون وراءهما فى طابور طويل . ولما اقتربا من السيارة . فتح احدهم بابها لهما . فدخلاها . وأغلق الباب ·· وانطلقت بهما الى الجناح الذى حجزه « آى ـ وان » فى ذلك الفندق الجبلى عند العيون الساخنة التى سبق أن امضيا فيها أسعد يوم فى حياتهما !

وكان قد قرر ان يمضى فى ذلك الفندق الاسبوع الاول من شهر العسل ..

وما ان اغلق عليهما باب السيارة ، حتى اخذها بين ذراعيه هاتفا:

ـ « تاما » !

وضحكت . احس ان كل شيء فى الحياة يضحك معها ..

وقالت له . وهى تقدم شفتيها الى شفتيه

ـ هل نحن فى حلم يا « آى ـ وان » ؟

وقال بصوت مختنق من فرط السعادة :

ـ حدثينى يا « تاما » .. هل نحن زوجان حقا الآن ؟

فتعلقت به ، وقالت

ـ أجل يا « آى ـ وان » ... !

وغابا معا فى قبلة طويلة ..



وفى غرفتها الخاصة بالفندق ، جلس « آى ـ وان » على حافة فراشى وقال لها :

ـ دعينى أرى معصمك يا « تاما » ..

فتقدمت نحوه ، ومدت يدها اليه .. وراح يتحسس آثار الجرح عليه . ثم قال وهو يقبله :

ـ هل الفتاة المصرية تفعل هذا عادة لكى تصل الى غرضها ؟

فقالت بهدوء :

ـ لا ، طبعا .. ولكن ابى ليس عصريا ، ولهذا كان على ان اعامله بالطريقة التقليدية . وكان يعرف انى جادة فى عزمى على الانتحار اذا أصر على الرفض .. ومن ثم استدرك الامر وأعلن الموافقة ..

وفاض قلبه بالهناء ، وراح يمسح آثار الجرح فى وجهه . وهو يقول معابثا :

ـ حتى لو كان هناك حرب يا « تاما » ماكنت لتقبل الزواج باحد غيرى ·

فهزت راسها برفق . ولكن باصرار ايضا ، وقالت ·

ـ لا يا « آى ـ وان » لو كانت هناك حرب حقيقية . لتزوجت بالجنرال سيكى·

وابى ان يصدق اذنيه . فقال :

ـ لا .. لا يمكن ان اصدق يا « تاما »

ـ اذن فانت لم تفهم بعد روح الشعب الياباني يا « آى ـ وان » .. ففى وقت الحرب لا اكون ملكا لنفسى . وانما ملك لوطنى .. ان كل فرد فى الوطن . هو ملك لهذا الوطن فى وقت الحرب ..

فقال فى سخرية :

ـ ان الجنرال سيكى ليس الوطن .. !

فقالت ببساطة . وهى تمسح بيدها على شعره :

ـ انه قائد عظيم .. وان الامبراطور يثق فيه

ولاحظ « آى ـ وان » ان « تاما » ـ كغيرها من افراد الشعب اليابانى ـ تتحدث عن الامبراطور بنفس القداسة التى يتحدث بها المؤمن عن الله . وشعر فجأة بالغيرة من الجنرال . وقال وهو يلف ذراعيه حولها :

ـ لايجب ان تحبى احدا غيرى يا « تاما » !

فاخذت رأسه بين يديها . وانحنت وقبلت شفتيه بحرارة . وقالت باخلاص :

ـ اننى لا أحب أحدا غيرك يا « آى ـ وان » .. ولسوف احبك دائما ..

ـ اذن لماذا قلت اذا كانت هناك حرب حقيقية لـ ...

ـ ان واجبى فى هذه الحالة يحتم على ...

فقاطعها قائلا

ـ انا واجبك يا « تاما » .. أنا فقط - ولاينبغى ان يكون لك واجب غيرى

ثم جذبها اليه . وطوقها بذراعيه فى قوة . وانحنى عليها قائلا :

ـ والآن .. لا تتكلمى .. لم يعد ثمة مجال للكلام بعد ..

وانغمر « آى ـ وان » فى احضان الحب .. واحس بدمائه تجرى مع دمائها فى مجرى واحد . ونحو هدف واحد . وتغنى انشودة واحدة خالدة .. هى انشودة الرجل والمرأة منذ الازل ..

وفجأة جفل عنها فى دهشة واستنكار خفى . حين بدرت من يديها حركة لم يكن يتوقعها من فتاة لم تعرف فى حياتها من قبل

رجلا . وتمتم بكلمات غامضة جعلتها تنظر اليه في دهشة بدورها وتقول :

ـ ماذا تقول ؟

ـ أقول كيف .. كيف عرفت هذا ؟

فنظرت اليه من مكانها على الفراش ، وقد اطلت من عينيها نظرة كلها البراءة والدهشة :

ـ هذا ما تعلمته من فتاة الجيشا .. لقد استأجرت امي احدى فتيات الجيشا لتعلمني كيف أسعد زوجي وأرضيه ..

وكان في نبرات صوتها ، ونظرات عينيها ، من البراءة والسذاجة ما فتنه وافزعه في وقت واحد . وبقي صامتا برهة ، وهو لايدرى ماذا يقول أو يفعل .. وقالت هي :

ـ ما الذي يشغل بالك الى هذا الحد يا « آى ـ وان » ؟

واستطاع اخيرا أن يقول :

ـ بساطتك في النظر الى هذه الامور .. انها تخيفني ..

وخطر له انها لن تفهم ما يعني .. ولكنها فهمت . وقالت بصوتها الهادىء الواثق بعد ان تطلعت اليه برهة :

ـ كن منطقيا يازوجي الحبيب .. أكنت تفضل أن تتزوج فتاة لا تعرف اطلاقا كيف ترضى الزوج وتسعده بالحب ، لقد تعلمت كيف أصنع ثيابك . وكيف اطهو طعامك . وكيف أدير شئون بيتك. وكيف اربي ابناءك .. فلماذا تعجب اذا كنت قد تعلمت أيضا كيف ارضيك كزوج واسعدك كحبيب ؟ أكان يرضيك الا اعرف كيف اعاملك كزوج حين نتفرد معا ؟ ان هذه اللحظات هي قلب حياتنا الزوجية النابض .. فاذا كان القلب سليما . فلا خوف على بقية الجسم !

فتمتم قائلا :

ـ ولكن .. ولكن هذا ما تفعله الغانيات المأجورات .. !

ـ اوه .. لا .. لا ..

ووثبت من فراشها ، واسرعت الى ثوبها ترتديه وتجمعه عند الوسط بحزام ذهبي . ولاحظ « آى ـ وان » أن يديها ترتعدان وهي تشد الحزام . وان صوتها يختنق بالبكاء ، وهي تقول :

ـ لا .. لاعلاقة لذلك أبدا بما تفعله الغانيات المأجورات .. انني زوجتك . وانا التي ستحصل في أحضانها ابناءك .. !

ومسحت عينيها بطرف كم ثوبها الواسع . وظلت واقفة عند ستائر النافذة . وقد تهدلت كتفاها في حزن وألم الطفلة التي حاولت أن تؤدي واجبها كما تعلمت . فلم تفلح ..

وتقدم نحوها بسرعة . وقال بحنان بالغ :

ـ أرجوك أن تصفحي عني ..

فقالت بحرارة :

ـ كلا .. لاترجوني . فانت زوجي .. وما عليك الا أن تأمر فاطيع. وان رسالتي في الحياة هي اسعادك ..

ورأى شفتيها ترتعدان . فابتسم وقال :

ـ اذن فانا آمرك أن تأتي الى ذراعي ..

فاستدارت نحوه . ورفعت وجهها اليه . ثم أخذت الابتسامة تنتشر على محياها كله .. وهنا قال :

ـ وآمرك أن .. أن تفكي حزام الثوب ..

ورفعت يديها الى الحزام ، ولم يلبث الثوب ان سقط عن جسمها

الزلزال

« الزوجة اليابانية هى احسن زوجة فى العالم .. »

كتب ابوه اليه هذه العبارة فى الخطاب الذى ارسله اليه ، يبارك فيه زواجه ويهنئه به ..

وكان مع الخطاب عدد كبير من الهدايا المرسلة اليه من والدته وجدبه ووالده !

وكان « اى ــ وان » ــ عدا هذا ــ قد قرا ايضا فى كثير من كتب المؤلفين الاوروبيين والامريكيين انه لا يوجد فى بقاع الارض زوجة تتفانى فى خدمة زوجها والاخلاص له كالزوجة اليابانية ..

وايقن هو ان ماكتبه اليه ابوه ، وما قراه فى الكتب لا يتجاوز الحقيقة فى شىء ، ان لم يقل عنها فى كثير من الاحيان ..

لقد جعلت « تاما » حياته الزوجية فى ذلك البيت الصغير الجميل الذى اقاماه ، فوق ربوه تشرف على المدينة ، سلسلة متصلة من الاعياد السعيدة . كان يفرغ من عمله فى ادارة الشركة ــ وكان يونجى قد عاد من الصين واحتل مركز اخيه اكيو ــ ثم يهرع الى الطريق الصاعد نحو الربوة .. وهناك ، فى مدخل حديقة البيت الصغير ، كان يجد « تاما » فى استقباله بابتسامتها السعيدة ، ولهفتها الحبيبة ، واسراعها الى قدميه لتخلع عنهما الحذاء ، وتضع فيهما الشبشب اليابانى اللين ، ثم تمضى به الى حيث يستريح فى مقعد وثير . والى حيث يضع قدميه فى ماء دافىء معطر ، والى حيث يحس بيدى « تاما » الناعمتين الرقيقتين ، وهى تدلكهما بتلك البراعة والخبرة .. حتى اذا فرغت من هذه العملية ، نهضت وساعدته على خلع ملابسه الافرنجية ، وارتداء

ملابسه المنزلية الفضفاضة المريحة ، ثم مضت تعد المائدة للطعام .. وهو الطعام الذى كانت تصر على ان تصنعه بيديها ، وعلى ان تفاجيء زوجها كل يوم بكل مايحب ويشتهى منه .. وقد سألها « اى ـ وان » ذات يوم فى دهشة :

ـ متى وكيف تعلمت طهو كل هذه الاصناف والالوان من الطعام ؟

فابتسمت وقالت :

ـ ان واجب الفتاة اليابانية ان تتعلم جميع طرق طهو كل صنف من الطعام ، وعليها بعد الزواج ان تعرف ماذا يحب زوجها وماذا يكره من هذا الطعام .. واهم من هذا ، عليها الا تجعله يمل ما يحبه من اصناف الاكل ..!

ولم يحدث ان عاد ابدا ليجد ذرة غبار او قصاصة ورق فى جميع انحاء البيت او الحديقة .. وانما كان يجد ، فى كل لحظة يكون بها داخل البيت ، كل شيء نظيفا مرتبا منسقا ينم عن ذوق رفيع ..

اما الازهار ، فكانت فى كل غرفة ، اشكالا والوانا .. وكانت الحديقة رغم صغر حجمها بالنسبة لحديقة بيت ابيه ، او بيت ابيها ، لا تقل جمالا وجاذبية عنهما ..

فى هذا العش الجميل ، عاش « آى ـ وان » سنة بعد اخرى . وكانت الايام تمر كحلم جميل يتمنى الا يستيقظ منه يوما . وكان والده يراسله بانتظام . وكان والدا زوجته يعاملانه بكل تقدير واعزاز ، وكأنه قد اصبح ابنا لهما

وقبل ان يمر العام الاول من زواجه ، جاءت له « ناما » بابنهما الاول جيرو ، وقبل ان ينتصف العام الثالث ، اقبلت الخادمة الى مكتبه بادارة الشركة مهرعة تبشره بوصول الابن الثانى جانجيرو

انه لا ينسى قط تلك اللحظة السعيدة التى وقف فيها مع زوجته وابنيه يحتفلون فى الحديقة بعيد الاطفال . وكان جيرو فى عامه الثانى ، يملأ جوانب البيت نشاطا وابتهاجا . وكان جانجيرو فى شهره الثانى نائما فى كيس على ظهر الخادمة كالتقليد المتبع ..

ولم يكن يدرى ان هذه السعادة الغامرة التى امتلأ بها قلبه

في تلك اللحظة . سوف تنقلب في اللحظة التالية الى احساس اخر لا يمت للسعادة بسبب !

كانوا . انفس يطردون الى السارية الخشبية التي اقامها « اي ـ وان » في الحديقة احتفالا بعيد الاطفال . وكانت السارية مزينة بمختلف انواع الزينة الورقية والزهور .. وكان معلقا في اعلاها تمثال يرمز لسمك الشبوط . وكانت « تاما » تقول لجيرو الذي وقف يتأمل سمكة الشبوط في اعجاب :

ـ تذكر ياجيرو .. ان سمك الشبوط يرمز للقوة والكفاح ، لانه يسبح ضد التيارات الجارية وفي الجداول الباردة باعلى الجبال ..

في تلك اللحظة ؛ نفسها راى « اي ـ وان » او خيل اليه انه راى السارية تتأرجح بقوة ؛ وفي نفس الوقت سكتت فجأة الريح التي كانت تهب منذ الصباح الباكر . ونظر هو و « تاما » بحركة واحدة الى البحر الذي كان يبدو غير بعيد . ولاح لهما ان سطحه بدا غريبا مكفهرا عاليا اكثر مما ينبغي . وكان ثمة هزيم خفيض عميق ، لا يدري احد هل كان باتيا من البحر او من جوف الارض

وصنع « اي ـ وان » في فزع .

ـ « تاما » ؟!

وقالت هي بصوت خافت هادىء رغم الشحوب الشديد الذي كسا وجهها :

ـ زلزال ..

وكان قد اعتاد ان ينظر الى اهتزاز الارض على انه امر عادي ، وعلى ان الزلزال قد يحدث في اية لحظة .. الا انه طيلة اقامته في اليابان ـ وطيلة سنوات حياته قبل ذلك ـ لم يشهد زلزالا حقيقيا من النوع الذي قرأ او سمع عنه . وكان في بعض الليالي ، ينهض مع « تاما » حين يشعران بالارض تهتز وتميد تحتهما ؛ والغبار يتساقط من السقف على وجهيهما . ودعائم البيت الخشبية تصدر صريرا مخيفا . وكانت « تاما » في مثل هذه الحالات ترتدي ملابسها مسرعة . وتنتظر . وكان « اي ـ وان » يعرف ان كل فرد في المدينة ـ في هذه اللحظة نفسها ـ قد نهض من فراشه ، وارتدى

ملابسه . واحد ينتظر ابصا . وعلى الجملة ، كانت زلزلة الارض تجعل السكان جميعا يتطلعون لمواجهة ما يحدث بعد ذلك ، رغم شعورهم بالعجز عن مقاومة ثورة الطبيعة !

ولكن الزلزلة كانت تنتهي بسلام في كل مرة ، اثناء اقامة « آي ـ وان » . اما هذه المرة ، فقد احس بغريزته ان الامر اخطر من اية مرة سابقة !

واندفعت « تاما » الى البيت مسرعة ، وتبعتها الخادمة بعد ان وضعت الطفل الوليد بين ذراعي « آي ـ وان » الذي وقف مذهولا بجانب ابنه جيرو يرى ما يحدث . وكانت «تاما» والخادمة تدخلان البيت وتخرجان ، حاملتين كل ما خف حمله وغلا ثمنه من الملابس والمتاع والمقتنيات . وفي كل مرة كان البيت يصر ويتارجح، كلما مادت الارض من تحته . وكان « آي ـ وان » يقول لـ «تاما» في حيرة وارتباك :

ـ يجب ان اساعدكما .. اين اترك هذين الطفلين !

وكانت هي تقول له :

ـ كن معهما .. فهذه هي مهمتك

وكانت الاقمشة الثمينة . ومعاطف الفراء . والهدايا الغالية والجواهر كلها مودعة في خزانة خاصة ببنك المدينة المحصن ضد الزلازل . اما الملابس والمقتنيات الاخرى في البيت ، فقد استطاعت « تاما » والخادمة ان تجمعاها في العراء خارج البيت في اقل من عشر دقائق ، وكانهما بحاران مدربان على كيفية النجاة من السفينة عندما يتهددها الغرق ..

وقال « آي ـ وان » عندما وقفت «تاما» بجانبه اخيرا ، ومدت يديها لتاخذ منه طفلهما جانجيرو :

ـ الى اين سنذهب ؟

فقالت ببساطة :

ـ لن نذهب الى اي مكان ، لانه لا يوجد مكان يمكن الهرب فيه من الزلزال

ووقفا ينتظران، ونظراتهما متجهة نحو البحر .. وكان « آي ـ وان » يضم جيرو الى صدره بقوة ، واستكان الطفل اليه دون ان

يبكى ، وانما راح هو ايضا يتطلع الى البحر الثائر فى ذهول .. وفجأة ارسلت « لاما » صيحة رعب ، ووضعت يدها على فمها .. ذلك انها رأت مياه سطح البحر تتجمع عند الافق فى موجة واحدة عالية رهيبة .. لا ! انها لم تكن موجة ، وانما مد بحرى رهيب يزحف على المدينة ببطء ينشر الفزع ، وكان الموت الذى لا مفر منه ولا ملاذ !

وهمست « لاما » قائلة :

ـ لا يمكن ان تصل الينا مياه البحر ..

وقال « آى ـ وان » وهو يحس انه سيقع مغشيا عليه من فرط الفزع والذهول :

ـ ولكنه سوف يكتسح المدينة كلها ..

ولم يستطع ان يدير رأسه بعيدا عن ذلك المنظر الذى خيل اليه انه يرى فيه صورة مصغرة من يوم البعث . لقد رأى البحر وهو يزحف ببطء رهيب ، والمياه وهى تعلو تدريجيا وكأنما هى تفور ، ثم وهى تمضى نحو المدينة متجمعة كأنها جنود جيش زاحف ، يتجمعون ويحتشدون كلما اقتربوا من اعدائهم ..

وهناك ـ بعيدا تحت الربوة ـ حيث المدينة الجاثمة ، كان « آى ـ وان » يرى الناس يغادرون بيوتهم مسرعين ، كأنهم من بعيد حشرات صغيرة تحاول ان تتسلق اى شىء لتنجو من الموت الزاحف ..

وقالت « لاما » بهدوء :

ـ لقد بدأت المياه تتحرك بسرعة لتنقض ..

ولم يرها « آى ـ وان » هادئة ساكنة ، كما كان يراها فى تلك اللحظة . ولم يستطع ان يعرف هل كان الخوف يملأ نفسها ، أو انها لم تكن تشعر الا بهذا الاستسلام الذى تعلمت كيف تواجه به ثورات الطبيعة !! . وكلما اراد هو ان ينجو الى مكان ما ، وبطريقة ما ، امسكت بذراعه قائلة :

ـ لا .. لن تجد مكانا يمكن ان تأمن فيه على نفسك من ثورة الطبيعة ، ولعل المكان الذى تظنه آمنا ، يكون الموت كامنا فيه !

وانقضت المياه على المدينة كسيل العرم . وتكسر سطحها الى

امواج يعلوها الزبد .. واختفت المدينة تحتها تماما ، وقد بدا كأنما البحر كله قد حط فوقها ..

وقالت « ناما » بصوت خافت :

ـ ان هذه المياه قد تبلغ في انقضاضها بيت أبي .. انه لا يرتفع كثيرا عن المدينة ..

واخذ الاثنان يرقبان ما يجري .. وكان انحسار المياه من المدينة ، في حالة الجزر ، اعنف وافني وافظع .. لقد راحت المياه العنيفة المرتدة تسحب معها كل ما يمكن سحبه من آدميين ، واشياء ، ومتاع ، واجزاء من بيوت منهارة ، حتى كاد سطحها ان يغطي بالالاف الاشياء الطافية فوقها ، ومنها الادميون الغرقى او الذين يقاومون الغرق . والواقع انه خيل لـ « آي ـ وان » أن المدينة كلها ـ باهلها ، وبيوتها ، وشوارعها ، واشجارها ـ قد تحركت الى البحر مع المياه المرتدة اليه !

وتوجع « آي ـ وان » واخفى وجهه في كتف ابنه الطفل جيرو . وفي تلك اللحظة ، خيل اليه أن الارض تكاد تنشق تحت قدميه . وفي اللحظة التالية سمع صوت البيت وراءه وهو ينهار ، وبعض الحجارة تنحدر من الربوة بقوة الى المدينة بعد ان تخلخلت من اماكنها .. ولما مد يده ليمسك بذراع « ناما » وجدها ثابتة في مكانها ، قوية ، منجلدة تقول :

ـ ان هذه الربوة الصخرية لن تنهار .. اما المرتفعات التي تعلوها فهي كما ترى حقول مزروعة ..

وكان ذلك حقا .. فقد كان ثمة حقول تمتد في اعلى الربوة ، يرويها نهير ، كان يجري بينها ..

ومرة أخرى أحس بالارض تميد تحت قدميه ، وسمع « ناما » تقول :

ـ ان الموجة ستنقض على المدينة مرة اخرى .. ولكنها ليست ضخمة عالية كالاولى ..

ولم يستطع « آي ـ وان » ان ينظر مرة اخرى الى ذلك الطوفان الرهيب الذي راح يغرق المدينة ، ثم يعود ويبدو كأنما يسحبها كلها الى البحر . اما جيرو فكان متعلقا به ، ساكتا لا يبكي او يصيح .

وكان الطفل الوليد نائما مسلام في كيسه وراء ظهر امه . وتذكر « اي ـ وان » في تلك اللحظة ما قاله بونجي عن الطفل الياباني الذي يستغرق في النوم ، رغم كل مايصدر حوله من اصوات مزعجة!

وفجأة سمع صوت اخشاب تتفكك وتنهار .. فلما استدار ، فوجيء برؤية بنيه كومة من الحطام . وسمع « تاما » تقول بهدوء :

ـ حمدا لله ان نجونا جميعا ..

واستدارت ومضت نحو حطام البيت .. وللمرة الاولى منذ زلزلة الارض حلت تستريح .. وكانت الرياح قد بدات تهب مرة اخرى . ومياه البحر تعود الى حالتها الطبيعية بعد ان اكتسى سطحها بحطام المدينة من جماد واحياء ونبات

وشعر « اي ـ وان » بساقيه توشكان ان تخذلاه ، وبالعرق يتفصد من كل انحاء جسمه ، ثم سمع « تاما » وهي تقول ، وهي تمسح وجهها بطرف كمها ثم تاخذ جيرو عن ذراعيه :

ـ لقد رايت زلازل افظع من هذا ..

ـ اما انا ، فلم ار في حياتي افظع من هذا ..!

ـ اوه .. ان هناك ما هو اسوأ من هذا بكثير ..

ونظر اليها في دهشة ، وهو يراها جالسة بهدوء على جزء من حطام البيت الذي طالما شهد اجمل ايام حياتهما .. وهز راسه متعجبا ، وقال :

ـ والان .. ماذا سنفعل ؟

ـ سنستريح قليلا ، ثم نمضي الى بيت ابي لنرى ماذا حدث ..



ولم يلبثا ان رايا رجلا من عامة الشعب ـ في ثوبه القطني الازرق يسرع صاعدا الربوة نحوهما . وكان واحدا من خدم بيت أبيها ، جاء يسال عما حدث لهما ، فقالت له « تاما » :

ـ اننا كما ترى بخير .. فكيف حال ابي واسرتي ؟

ـ كلهم بخير .. لم تتهدم غير البوابة ، وجزء من المطبخ . وقد سقطت قطعة من الخشب على ساق السيدة سمر . ولو ان السيد بونجي فالمنها .. هذا كل شيء

وصاحت « تاما » في ابتهاج :

ـ آه . ما أسعدنا !

ونهضت واقفة .. ولما رأت « آي ـ وان » يتجه بنظراته الى حطام البيت الذي كان قبل ذلك بلحظات عش سعادة وهناء ، قالت له :

ـ سوف نقيمه مرة أخرى بسهولة .. وأجمل مما كان !

ـ نقيمه ؟!

ـ أجل .. وهنا ، في نفس المكان . لقد حاول البحر أن يصل الينا ، فلم يستطع .. انه مكان مناسب

ولم يكن في حالة تسمح له بالجدل .. ومن ثم سار معها في صمت نحو بيت أبيها ..

وعاش حياته لا ينسى ذلك اليوم .. لا ينسى نجاة بيت موراكي من الدمار ، ولا الشعور الممتع الذي أحس به حين وجد نفسه ، وزوجته الحبيبة ، وطفليه محتمين بين أربعة جدران .. ولا المذاق الشهي للطعام الساخن الذي كانت السيدة موراكي قد أعدته لهم ، ولا الترحاب الرقيق الهادىء الذي قوبل به .. لقد كان ما حدث معجزة . ولكن المعجزة التي حفرت نفسها في ذهنه .. هي معجزة السكون الذي كان يخيم على كل شيء .. سكون المستر موراكي وهو يرى حديقته الجميلة وقد تدمرت تماما ؛ وسكون يونجي وهو يرى زوجته الجديدة راقدة بعد أن سقطت قطعة الخشب من سقف المطبخ على ساقها ، وسكون هذه الزوجة وهي لا تئن أو تتوجع بعد أن أسعفت ساقها وضمدت ، وسكون الناس في الشوارع بعد أن تحطمت بيوتهم وابتلع البحر أقاربهم ، وسكون زميله الكاتب في ادارة الشركة رغم وفاة أخيه الوحيد في الكارثة ..!

انه لن ينسى ـ ما بقي على قيد الحياة ـ ذلك السكون الذي أعقب الكارثة ..

وفي اليوم التالي ، دبت الحركة والنشاط في المدينة لاعادة كل شيء الى ما كان عليه .. لقد أخذ كل واحد في المدينة يعمل ؛ وكأنه يعرف تماما ماذا ينبغي أن يعمله . وأعيد الحاجز البحري الى ما كان عليه من قوة .. وأخذت البيوت تقام مرة أخرى على جانبي الشوارع كأنما تقيمها عصا ساحر ، وقالت « تاما » له :

ـ يجب أن نجعل بيتنا هذه المرة أكبر وأرحب ..

وشعر بالخجل من نفسه ، وهو يسألها قائلا :

ــ ولكن .. اذا حدث هذا مرة اخرى ؟

فاجابت بهدوء :

ــ لكن .. ففي امكاننا دائما ان نعيد بناءه ..

ولم يستطع ان يشكو او يتذمر ، وهو يرى الالاف من سكان المدينة الذين فقدوا الاحباب والاعزاء في تلك الكارثة يستسلمون للاقدار في ايمان ورضا وخضوع .. ولعل اعجب ما رآه ، ذلك الصياد العجوز الذى راح يقيم بيته بالقرب من الميناء ، بعد ان ابتلع البحر بيته السابق

وقد قال له « آى ــ وان » :

ــ اتبني بيتك في نفس المكان الذى ابتلع فيه البحر بيتك السابق؟

فرفع العجوز عينيه ، وقال بهدوء :

ــ وفي اى مكان آخر اقيمه ؟.. لقد كان هنا بيت ابى من قبل .. وبيت جدي ..

ــ ولكن اذا حدث هذا الامر مرة اخرى !

ــ انه سيحدث حتما .. وكلنا نعرف هذا ..

وفي تلك اللحظة ، عرف « آى ــ وان » ، سرا من اسرار الشعب الياباني .. ان هذا الشعب الذى يبدو مؤدبا مع الاجانب والغرباء ، والذى يعرف كيف يستمتع بحياته ، وينعم بكل مايمكن ان تقدمه الحياة اليه ، ينطوى في الوقت نفسه على روح من الكفاح والمقاومة ليس الى وصفها من سبيل ..

وهل هناك اعظم من روح الكفاح والمقاومة التى يتعلمها الشعب ــ اى شعب ــ من كفاحه الدائم ومقاومته المستمرة لثورات الطبيعة؟

غيوم

انها لم تكن حربا ! .. هكذا اعلنت الصحف ، انما هي مناوشات عسكرية ، وحملة تاديبية بسيطة ، تقوم بها القوات اليابانية باسم الامبراطور ضد بعض القوات الثائرة في منشوريا ..

وكان قد مضى على الزلازل الرهيبة عامان .. وكان البيت قد اعيد بناؤه على مساحة ارحب ، وكانت « تلما » قد اصرت على ان تقام فيه غرفة مكتب خاصة لـ « آي - وان » يستطيع فيها ان يستريح ويستجم بمفرده كلما اراد ..

ولما طال امر « المناوشات العسكرية » حتى تجاوزت ثلاثة اشهر ، بدأ « آي - وان » يحس بالقلق ؛ ولكن يوسجي كان يقول له مؤكدا ان الحرب لن تقوم ابدا بين الصين واليابان . وان الامر لا يعدو ان يكون خلافا بسيطا بين شقيقين ..

ولكنه ارسل يسأل اباه عن حقيقة ما يجري في ارض الوطن ولم يرسل اباه ردا على رسالته هذه .. بل ان اباه لم يعد يرسل اليه الخطابات بانتظام كما كان يفعل . وشعر « آي - وان » بالقلق ولكن هذا القلق لم يبلغ به حد اتخاذ خطوات ايجابية ليعرف ماذا يحدث في بلاده ..

وفي ذات يوم ، استقال الكاتب من عمله في ادارة شركة موراكي، وذلك ليشترك في « المناوشات » الدائرة بين القوات اليابانية والقوات الصينية في منشوريا . وكان « آي - وان » يعرف انه وحيد امه العجوز الارمل .. فلما سأل يوسجي عمن سيعول هذه الام العجوز ، بعد رحيل ابنها الى ميدان القتال ، قال :

- ان ابي سيرسل اليها نصف مرتب ابنها شهريا ..

وشغلت فتاتان يابانيتان مكان الكاتب المجند ، واقيم حاجز بين مكتبهما ومكتب « اي ـ وان »

ولاحظ في الشهور التالية ، ان البضائع لم تعد ترد من بلاده الى اليابان ، وكأنما توقفت التجارة بينهما تماما . وزاد هذا من شعوره بالقلق . ولكنه فوجىء ذات يوم ببرقية من والده جاءت اليه من طريق بونجي . وقد تعجب لهذا ، ولكنه لم يحاول ان يسأل عن السبب . وكانت البرقية كما يلي :

« سيصل اخوك « اي ـ كو » الى يوكوهاما على الباخرة بالموزال في اليوم السابع عشر .. استقبله على الميناء »

وكان ذلك في اليوم الخامس عشر من الشهر ..

وقال له بونجي :

ـ هل سيأتي اخوك ؟

فسأله « اي ـ وان » قائلا بدهشة :

ـ كيف عرفت ؟

ـ ان ابي يريد ان يرسل هدية الى والدك عن طريق اخيك « اي ـ كو »

ـ وكيف عرف والدك بالامر ؟

ـ لقد استلم البرقية ، وهو في البيت .. وقراها طبعا ..

ـ لماذا ؟ ..

فتظاهر بونجي بالدهشة ، وقال :

ـ لكي يعرف مدى اهميتها ..

وكاد « اي ـ وان » ان يرد على هذا بقوله « وما شأنه هو ببرقية واردة لي ؟ » ولكنه امسك عن الاستطراد في الحديث عن هذا الموضوع ، ثم قال :

ـ ارجو ان تبلغه شكري ..

وقال بونجي ، وهو يتأمله في عجب :

ـ اعتقد انه لا مندوحة لك من الذهاب لاستقبال اخيك ..

ـ طبعا .. لابد ان اذهب ..

وكان قد فكر في ان يصحب « تلما » وطفليه لرؤية اخوه ،

ولكنه عدل من هذا الراى ، وهو ينصرف من مكتب برنجى ..



وقف على رصيف الميناء ، يتطلع الى ركاب الباخرة بالمورال ، وهم يهبطون منها .. وما لبث ان لمح « آى ـ كو » وهو يهبط بملابسه الافرنجية الانيقة . ولكنه دهش حين رآه ، وكانما قد اصبح شخصا آخر .. انه يرى « آى ـ كو » مشدود القامة ، مرفوع الراس ، صارم الملامح ، مزموم الشفتين .. وكانما حولته هذه السنوات العشر من طفل مدلل ضعيف الى رجل موفور الرجولة والاتزان

ورغم انه لم يكن يشعر نحو اخيه بحب كبير ، الا انه لم يملك نفسه فى تلك اللحظة من الاندفاع اليه ، ومعانقته مرحبا ، وقد طفرت الدموع الى عينيه . وكان قد لمح وراءه فتاة اوروبية فى فستان ابيض قصير بلا اكمام ، تهبط من السفينة .. ولكنه فوجىء بها تقف وراءه « آى ـ كو » وتنظر اليه فى دهشة بعينيها الزرقاوين ، وهى تمسح على خصلات شعرها الناعم الذهبى بيد كبيرة ناصعة البياض ..

واستدار « آى ـ كو » الى هذه الفتاة الاوروبية ، وقال باللغة الالمانية :

ــ فريدا .. هذا هو اخى « آى ـ وان »

وتامل « آى ـ وان » تلك الفتاة الالمانية ، وقارن بين صلابتها الواضحة فى كل شىء عليها ، وبين رقة « تاما » ولطفها ، ثم شعر بنفور طبيعى منها ..

وهتفت الفتاة بصوت مرتفع :

ــ آها ! .. شىء رائع ان اراك ..

وامسكت يده ، وراحت تصافحه بعنف ثم اذا به يفزع حين رآها تنحنى عليه وتقبله فى وجنته بشفتيها المطمتين ، وهى تقول ضاحكة :

ــ اهلا باخى « آى ـ وان » .. :

وقال « آى ـ كو » فى ترفع وزهو :

ــ هذه زوجتى يا « آى ـ وان » .. ان اسمها فريدا فون ريكوربن ، ووالدها من كبار الضباط الالمان ..

ولم يستطع « اى ـ وان » ان يقول شيئا فى مجال العتاب او الاعتراض ، لانه لو اعترض عليه لزواجه من فتاة اوروبيه ، لرد قائلا ان هذا افضل من الزواج بفتاة تنتمى الى شعب عدو !

وعلدت فريدا تقول فى صوت ينم عن المحبة :

ـ اننا عريسان .. وان كل شيء ليبدو رائعا ..

وتناول « اى ـ وان » منديله ، وراح يمسح كل وجهه .. وحرص على ان يمسح ـ سرا ـ الاثر الذى تركته بشفتيها على خده ، ثم قال لاخيه وهم لا يزالون على رصيف الميناء :

ـ « اى ـ كو » .. اننى كدت لا اعرفك ..

وكان يتحدث باللغة الصينية ، لاول مرة منذ سنوات عديدة ، وقد اسعده ان هذه الفتاة الاجنبية لم تكن قد تعلمتها بعد . ورد « اى ـ كو » قائلا وهو يبتسم :

ـ اجل يا « اى ـ وان » لقد تغيرت كثيرا واصبحت رجلا ...

ثم اردف قائلا بعد برهة صمت :

ـ اننى مدين بهذا الفضل لابى .. حقا كرهت المانيا فى اول عام من اقامتى بها .. ولكننى لم البث ان الفت الحياة فيها واحببتها . اين يمكن ان نتحدث بحرية يا « اى ـ وان » ؟ .. ان لدى الكثير مما اريد ان اقوله ، والباخرة لن تمكث فى الميناء طويلا .. انها ستبحر بعد ساعة واحدة ، بعد ان كان المنتظر ان تمكث اربع ساعات ..

فقال « اى ـ وان » على سبيل المجاملة :

ـ ولكن .. الا يمكن ان تبقى بضعة ايام ، ثم تستقل باخرة اخرى ؟

فهز « اى ـ كو » راسه قائلا :

ـ لا .. يجب ان اعود الى الوطن فى اسرع وقت . اين يمكن ان نذهب الان ؟

ـ اعتقد ان من الممكن ان نمضى فترة ما فى هذا المطعم الصغير بالقرب من الميناء ..

وفى المطعم ، جلس الثلاثة الى مائدة واحدة ، وراح « اى ـ كو » يقول باللغة الصينية :

ـ « آى ـ وان » .. انك لا تستطيع الاستمرار فى الاقامة هنا .. يجب ان تعود الى وطنك فورا ..

فضمضم « آى ـ وان » قائلا فى ارتباك ، وهو يحملق فى وجه اخيه :

ـ ولكن .. ولكن ، هذا مستحيل .. اننى رب اسره هنا

فقال « آى ـ كو » بدهشة :

ـ عجبا !! .. ايمكن ان تكون جاهلا بما يجرى فى بلادك ؟

ـ ماذا بها ؟! ..

ـ الم تسمع بما حدث ؟!

ـ لا .. لم اسمع شيئا ..

فهمس « آى ـ كو » فى اذنه قائلا :

ـ ان القوات اليابانية توشك ان تستولى على العاصمة نانكنج ..

فضمضم « آى ـ وان » قائلا فى بلاهة :

ـ نانكنج .. ؟ !

ـ عجبا ! .. الم تقرأ او تسمع شيئا عن هذا طيلة هذه المدة ؟

ـ كل ما اعرفه ان الامر لا يتجاوز مجرد مناوشات عسكرية ..

واسرع « آى ـ كو » يقول ، حتى يفرغ مما لديه قبل ان تنتهى الجلسة :

ـ لقد ادرك ابى ان الموقف خطير .. ومن ثم ابرق الى لكى اعود سريعا . ان الجنرال « شيانج ـ كاى ـ تشيك » يريدنى للاشتراك فى عملية تنظيم الجيش الصينى على النمط المصرى .. وقد تقرر المقاومة حتى النهاية ..

فقال « آى ـ وان » فى بلاهة وارتباك :

ـ ولكن الشعب اليابانى هنا لا يعرف شيئا مما يجرى ..

ـ ان السلطات العليا تخفى عنه الحقائق فى هذا الشان .. ولكنى اؤكد لك ان الاوامر صدرت بالتعبئة العامة فى كلا البلدين .. اننا ياه « آى ـ وان » نخوض اكبر وافظع حرب فى تاريخنا .. تعال معى يا « آى ـ وان »

ـ الآن ؟ ! ..

ـ نعم .. الان .. ان لدى من النقود ما يكفى لسفرك معى الى

الوطن ، وقد طلب ابى ..
— ولكن اسرتى يا « اى — كو » !
فهمس « آى — كو » بعنف قائلا :
— ان كل ما ينبغى ان يكون بينك وبين اليابان هو الحقـــــد المتبادل .. الحقد الابدى .. الحقـد على كل شخص وكل شيء يابانى !
فصمت « آى — وان » برهة ، وهو يفكر فى « تاما » . هل يمكن ان يحقد عليها ؟!
ايمكن ان يكره الفتاة الوحيدة التى يحبها كل هـــذا الحب .. زوجتــه ، وأم طفلــه ، لان بلاده فى حرب مع بلادها ؟.. ما ذنبـه هو .. وما ذنبها هى ؟ !
وقال متلعثما :
— اننى لا افهم .. لا استطيع ان افهم .. لماذا تقوم الحـــرب بيننا وبين اليابان ، اننا لسـنا اعداء ..
فقال « آى — كو » بحزم :
— بل اعداء الداء .. اين كنت يا « آى — وان » حتى لا تعرف ماذا تفعل القوات اليابانيـة ببلادك ؟ .. يبدو ان زواجك قد جعل منك يابانيا !
— لا . لا . ليس الامر كما تقول . اننى لم اعرف شيئا ، لان ابى لم يرسـل الى شيئا من هذه المعلومات ..
— ومن يدريك انه كان يرسـل اليك خطابات فيها مثل هـــذه المعلومات ، ولكن الرقابة اليابانية تمنع وصولها اليك ..
وانقضت الساعة دون ان يقرر « آى — وان » شيئا ، ولـكن حديث « آى — كو » ترك فى نفســه اثرا عميقا ، وفيما هما يعودان الى رصـيف الميناء مع زوجة « اى — كو » الالمانيه ، قال هـــذا لاخيه :
— الن تاتى معى يا « آى — وان » ؟
— لا .. لا .. ليس الان . ليس هكذا على الاقل !
— لماذا لا ؟ ..
فقال « آى — وان » فى خجل :

ــ انني .. انني لا استطيع ان ارحل عنهم هكذا . لقـــد كان المســـر موراكي وزوجته جد عطوفين علي .. انهما يعاملانني كابن عزيز ، فكيف ارد جميلهما هكذا ؟! ..

ــ اذن فاني اقول لك هذا نيابة عن ابي .. ان عليك ان تعـــود الى وطنك في اسرع وقت ممكن .. عد اليه في ايام بدلا من اسابيع .. او في ساعات بدلا من ايام .. ان الوطن في حاجة الان الى كل فرد من ابنائه يســـتطيع ان يحمل سلاحا !

ووضع « اي ــ كو » يده على كتف « آي ــ وان » قبل ان يصعد سلم الباخرة . واردف قائلا :

ــ ان اليابان الان هي آخر بلد يمكنك الاقامة فيه .. ان هـــذا عار .. والان اودعك الى لقاء قريب ، في ارض الوطن ، بعد ايام .. ولـــوف اكتب لك عند وصولي بحقيقة ما سوف اراه ..

وصعد « آي ــ كو » الى الباخرة ، ووقف « آي ــ وان » يلوح له مودعا ، وهي تتحرك خارج الميناء .. ولـــكنه كان يشعر ــ في نفس الوقت ــ انه اصبح اكثر بعدا من اخيه عن ذي قبل



وعاد الى ناجازاكي في تلك الليلة بالقطار ، ووصـل الى بيتـــه في الصباح .. وهناك استقبلته « تاما » وولداه بالترحيب والتهليل والبشر ، ورغم شعوره بالاشمئزاز كلما تذكر زوجة « آي ــ كو » الالمانية ، الا انه لم يســعه الا الشعور بأن « تاما » قد بدت له في ذلك الصباح يابانية تماما .. وقد قال لها فجأة :

ــ الاحظ انك ترتدين الان الكيمونو والجيتا باستمرار !

فضحكت في رقة . وقالت بلهجة اعتذار :

ــ هل يضايقك هذا ؟ .. انني اشعر بالراحة في هذه الثياب ..

ولما انحنت لتخلع له حذاءه ، وتضع في قدميه الشـبشب اللين قال في صوت ينم عن الضيق :

ــ وهل من الضروري ان تـــستمري على هذا التقليد الياباني؟!

فقالت في اصرار :

ــ انني لا افعل هذا الا لك انت ..

ولما نام جانجيرو ، وحملته الخادمة وراء ظهرها في كيـــه كالمتا

في اليابان ، قال محتجا لاول مرة في حياته الزوجية :

ــ لماذا تحمل الخادمة الطفل على هذا النحو دائما ! .. ان هذا يقرفص ساقيه ويقوسهما ، ويجعله ينمو مصيرا مقوس الساقين مثل اخيك بونجي .. !

وهنا لم تبتسم « تاما » ولم تعتذر ، وانما قالت في احتجاج واستنكار :

ــ لا يا « آي ــ وان » .. لا ينبغي ان تتحدث هكذا ، لا سيما امام جيرو .. انه الان يفهم الشيء الكثير مما يدور حوله .. ثم ان حمل الطفل على هذا النحو : اثناء نومه يضمن له الدفء والامان ..

فاصر على رايه ، قائلا :

ــ ضعه في فراشه .. انني لا اريد ان اراه محمولا بهذا الشكل !

ورأى في عينيها انه حقا يفترى عليها ، بلا سبب معقول ، ومع هذا فقد ابتسمت برفق وقالت :

ــ لا شك انك متعب بعد هذه الرحلة الطويلة .. اذهب يا جيرو والعب في الحديقة ، حتى ادعوك ..

ورد « آي ــ وان » قائلا بجفاء :

ــ انني لست متعبا !

وانتهى الامر عند هذا الحد .. وغابت « تاما » فترة من الوقت في المطبخ ، ثم عادت اليه بعد ان هدأت اعصابه ــ وراحت تداعبه وهي تقدم اليه فنجانا من الشاي جيد الصنع حتى عاد الابتسام الى شفتيه . وكانت هذه طبيعتها معه دائما .. فسواء كان هو المخطيء في النزاع او لم يكن ، فقد كانت تتركه فترة على انفراد ، ثم تعود اليه بالشاي لتعيد اليه الابتسام

وجلس في ذلك اليوم الى مائدة الطعام ، يتناوله في صمت وفي شعور بالخجل من نفسه .. ان « تاما » لم تتغير ، وانما بقيت كما كانت دائما .. نفس الفتاة الناضرة الباسمة المتفانية المحبة المطيعة التي ترى انها لم تخلق في الدنيا الا من اجل اسعاده .. انها تؤدي تماما ما تعلمت ان تؤديه . وهنا خطر بباله فجأة ان هذه طبيعة اليابانيات واليابانيين .. ان كل فرد في اليابان يؤدي ما يطلب

منه اداؤه ، ولكن من الذى يفرض فى النهاية هذا الواجب الذى يؤديه كل يابانى باخلاص وتفان ؟ اهى روح الشعب ، ام الامبراطور؟ لا .. ان الامبراطور نفسه يؤدى بنفس هذا الاخلاص ما يطلب منه اداؤه . وهكذا ادرك ان الشعب اليابانى كله مصبوب فى قالب واحد .. هذا القالب هو التفانى فى اداء ما يحس به الفرد من واجبات مفروضة عليه .. وفى هذا القالب نفسه سوف يصب ولداه ايضا



وفى المساء ، عندما اوى الى فراشه ، كان يحس بصداع ثقيل .. وادركت « تلما » ما يعانيه ـ كعادتها ـ من نظرة واحدة الى وجهه ، ومن ثم راحت تدلك راسه وجبينه وجوانب وجهه باطراف انامليها تدليكا رقيقا بارعا ، وكانت اصابعها لا تكاد تلمس بشرته، ومع ذلك كان يحس انها تدلك اعصابه ..

وقال لها ، بعد فترة صمت طويلة :

ـ اعتقد انك خبيرة بكل شيء ..

ـ هل انت الان احسن حالا ؟

ـ اجل ..

وانحنت عليه برفق وشم هو عبيرها الزكى ، وقالت له :

ـ انك متعب اليوم جدا !

ـ اجل .. وفى اشد الحاجة الى النوم ..

ولمست خده بكفيها فى حنان ورفق ، ثم رقدت بجانبه لتنام فى هدوء تام ، بحيث كان لا يكاد يشعر بها ..

وراح يفكر ..

ترى اليست لها ارادة خاصة بها ؟ هل تعلمت ان تتفانى تماما فى زوجها بحيث ترى انه ليس لها اى حق فى احساسات خاصة بها؟ .. لقد عرفها ـ وهى عذراء ـ فتاة عنيدة ، قوية الارادة ، ترى ان من حقها الا يتدخل احد فى عواطفها ، فكيف تغيرت الى هذا الحد بعد الزواج ؟

وفجاة ادرك شيئا خطيرا .. ادرك ان تفانيها فى خدمته ، لا يدل على فقدانها لارادتها او شخصيتها ، وانما على العكس من هذا ..

يدل على انها ركزت كل ارادتها لاسعاد الرجل الذى يشاركها الحياة، ويكدح لكى يوفر لها ولابنائها اطايب الحياة . انها بهذا التفانى تؤدى واجبها المفروض عليها كزوجة ..

واعجب من هذا انها حين تنام ، لا تتحرك .. لا تأتى باية حركة تزعجه ، او تؤرقه ، او تقطع عليه نومه . وكان يعلم ان هذه هى طبيعة الزوجات اليابانيات جميعا .. أفليس هذا دليلا اكيدا على قوة الارادة وحب النظام ؟

ان قوة الارادة ، وحب النظام ، طبيعتان فى الشعب اليابانى .. وانه لا ينسى ماحدث بعد الزلزال الرهيب .. انه لم ير احدا يجزع، او يشكو ، رغم ان سمات كل فرد كانت تنم عن الالم العميق الذى يزلزل كيانه ..

ولكنه كان يعلم ايضا ـ اثناء اقامته ـ ان هذه الطبيعة من قوة الارادة ، وحب النظام ، والتفانى فى اداء الواجب ، اذا انهارت او تصدعت لسبب ما .. فانها تكون كخزان المياه الذى ينهار سده فيغرق ويدمر كل شىء !

ترى كيف يكون حال « تاما » اذا حدث ما يؤدى الى انهيار هذا السد المنيع من الارادة وحب النظام ؟

ونظر اليها ، وهى نائمة فى الضوء الخافت ، وتطلع الى وجهها الحلو الساجى الذى بدا فى تلك اللحظة ، كوجه عذراء بريئة طاهرة القلب ..

وقال لنفسه عندئذ : « اذا حدث اى تصدع فى طبيعة « تاما » فسوف اكون انا السبب »

ومد يده ، ولمس خدها برفق ، وقال هامسا :

ـ « تاما » ..

واستيقظت فورا ـ كعادتها ـ وجلست ، وهى فى تمام صحوها، وقالت بلهفة :

ـ نعم يا « آى ـ وان » .. هل تريد شيئا ؟

ـ لا .. لاشىء .. اريد فقط ان تتحدثى معى ، لانى مؤرق ..

فمدت ذراعيها ، ولفتهما حول عنقه ، وقالت :

ـ لا تجهد نفسك بالتفكير الكثير يا عزيزى ..

فقال ، وهو يضمها الى صدره ، ويقبلها بحرارة :

ـ انني لن افكر في شيء بعد اليوم ..

وقال لنفسه ، وهو يشعر بدفء جسمها العاطر الملتصق بجسمه :

« مهما حدث خارج هذه الغرفة ، فلن يكون له شأن في حياتي ... »



الكارثة

كانت الاسرة كلها مجتمعة في بيت المستر موراكي ، للاحتفال بمناسبة بلوغه سن السبعين .. وكان كل ما يتصوره الانسان من ظلال البهجة والسعادة يرفرف على افراد الاسرة ، ويملأ قلوبهم بالغبطة والرضا ويرسم على وجوههم هذه الابتسامات العريضة المشرقة . وكان بونجي ـ كعادته ـ يضحك ، ويعاتب زوجته سنيبو ، قائلا انه لعمد ان يتزوج اقبح فتاة يابانية شكلا ، حتى ٧ ٠.و وهو بجانبها شديد القبح . ورغم هذا التعريض المؤلم ، كانت سيبو تنظر اليه في ولاء وحب ، وتضحك لمابثاته هذه الثقيلة . اما المستر موراكي ، فكان كل شيء في تصرفاته نحو « آي ـ وان » و « تاما » ينم عن فخره الشديد بحفيديه : جيرو ، وجانجيرو ، ولا يكف عن القول انهما جمعا اجمل الخصائص التى يتميز بها الشعبان الصينى والياباني

كان افراد الاسرة جميعا ، جالسين سعداء هكذا في قاعة الاستقبال ، بعد ان عادوا جميعا من الحفلة العامة التى اقامها تجار المدينة صباحا في الفندق تكريما للمستر موراكي بمناسبة بلوغه سن السبعين .. وكان المستر موراكي جالسا متصدرا افراد اسرته مجهدا بعض الشيء بسبب حفلة الصباح .. ولعله كان يفكر في حياته كلها التى توالت اعوامها في الكد والعمل والاستمتاع باطيب ما في الحياة ، وكان بونجي جالسا يتحدث في همس مع اخيه سيو الذى جاء من يوكوهاما مع زوجته وولديه ، للمشاركة في الاحتفال .. وكان « آي ـ وان » جالسا بجوار « تاما » يفكر في المستر موراكي ، ويعتبر انه عاش حياة نموذجية بحيث اصبح لا يكاد يتمنى شيئا !

في تلك اللحظة نفسها سمع الجميع ضجيجا في الشارع ، جعل بونجي يهتف قائلا في دهشة :

ـ ترى ماذا حدث ؟ .. ماذا جرى ؟ . .

وصاحت زوجة سيو :

ـ هل هو زلزال ؟. هل شعر احدكم بشيء ؟

وانطلق الجميع الى الحديقة حيث وقفوا كالمعتاد ، ينتظرون ان تهتز الارض من تحتهم ، لكي يسرعوا الى انقاذ ما يمكن انقاذه من متاع البيت . .

ولكن الارض لم تهتز . . وظلت الحديقة حولهم كما هي . . وفجأة اقبل البستاني العجوز يجري نحوهم ، ممسكا بصحيفة مسائية . . لم يكد مداد المطبعة يجف عليها ، وكانت صفحتها الاولى تحمل عناوين ضخمة تدل على وقوع احداث اشد ضخامة . واختطف بونجي الصحيفة من يد البستاني ، وراح يقرأ لافراد الاسرة الذين تزاحموا حوله . .

وفي لحظة واحدة ، عرف الجميع نبأ « الكارثة » . . عرفوا ان ثلثمائة مواطن ياباني كانوا يقيمون في بلدة صغيرة بجوار نانكنج ذبحوا عن آخرهم ، رجالا ونساء واطفالا ، على ايدي الجنود الصينيين !

واعلنت الصحيفةبالخط العريض قائلة ان هذا هو نتيجة موقف الحكومة المسالم نحو تحرشات الصينيين التي لا تنتهي ، وراحت تطالب بالانتقام السريع !

ولم ينطق احد بكلمة . . ولم ينظر احد الى « آي ـ وان » وانما ظلوا واقفين واجمين ، كما لو كانوا ينتظرون زلزلة الارض تحت اقدامهم . وحتى الاطفال . . احسوا بظل الكارثة وهو يثقل عليهم ، فلزموا الصمت . وفي هذا الجو الساكن ، كانوا يسمعون الضجيج في الشارع يزداد ، ورنين تليفون داخل البيت ، ولكن احدا لم يتحرك من مكانه . .

واقبلت من داخل البيت خادمة مسرعة ، تقول :

ـ ان سيدي بونجي مطلوب ليقدم نفسه الى مكتب الجنرال سيكي

واستدار بونجي دون ان ينطق بحرف ، وسار نحو البيت وزوجته ستتبعو وراءه ..

وفجاة سمعوا نحيب امراة تبكي في خفوت ــ وكانت خادمة « تاما » فقالت هذه لها في دهشة وحدة :

ــ ماذا بك يا مايا ؟

فتمتمت المراة قائلة :

ــ أخي .. لابد انه بين القتلى . لقد كان يمتلك متجر جزارة صغيرا هناك .. في الصين في نفس البلدة التي وقعت فيهـا المذبحة ..



وشرعت تشهق بالبكاء .. ولما رآها الطفل جانجيرو هكذا ، صاح باكيا ايضا ، فاخذه « آي ــ وان » بين يديه ، ولكنه لم يعرف كيف يسكته ، لانه كان في حالة ذهول وارتباك . وكان قد اخذ الصحيفة من بونجي ، وقرا الخبر بامعان .. ثم راح يتساءل في نفسـه :

« ما معنى هذا ؟ وكيف يمكن ذبح ثلثمائة رجل وامراة وطفل مسالمين آمنين بلا سبب ؟ »

وقالت له « تاما » :

ــ هات الطفل .. انه لا يزال يبكي ..

واحس انها تاخذه منه في شيء من القوة والاصرار .. وفي نفس الوقت ، عاد بونجي بوجه جامد ليقول لابيه :

ــ صدرت الاوامر الي للتجنيد فورا .. لقد أعلنت التعبئـة العامة ..

واستدار عائدا الى البيت ، ولم يقل احد شيئا .. وتمنى « آي ــ وان » ان يوجه احد الحديث اليه ــ اي حديث ــ لكي يستطيع ان يقول لهم : « لا .. ليس من المعقول اطلاقا ان يقتـل الجنود الصينيون هؤلاء الثلثمائة ياباني بغير سبب معقول »

وقالت « تاما » بصوت غريب النبرات :

ــ يجب ان نعود الى البيت ..

وعندئذ بدأ الجميع يتحركون ،ويتحنون مودعين ، مودعين فقط .. فان احدا منهم لم يحاول ان يقول شيئا آخر . ومن لم لـم تتح الفرصة لـ « آي ــ وان » لكي يقول شيئا ..

ولم يسمعه الا ان ينبح « ناما » ووالدبه والخادمة التى احمرت عيناها من فرط البكاء .. وكانت الضجة فى الشارع قد هدأت ، وعاد السكون مخيما على كل شىء كالمعتاد . لقد عرف الناس جميعا ما حدث ، فراحوا يسيرون وهم يتبادلون الحديث وقد اربدت وجوههم ، وخفتت اصواتهم .. وكأنما قد عقدوا العزم على شىء رهيب

واحس « آى ـ وان » بنظرات الناس فى الشارع تتركز عليه برهة ، وقد ادركوا انه ليس منهم . ولشد ما تمنى فى تلك اللحظات، لو استطاع ان يصيح قائلا ان مواطنيه كسائر البشر ، لا يمكن ان يرتكبوا هذه المذبحة بلا سبب يبررها !

وراح يتذكر صديقه « اين ـ لان » وما كان يحدثه من فظائع اليابانيين فى شمال الصين ، ولطالما ابى ان يصدق ما كان يقوله « اين ـ لان » ، ولكنه يحاول الآن ان يصدق هذه الاقوال حتى يجد فيها المبرر الكافى لما حدث ..

ـ ترى اين « اين ـ لان » الان !

ـ لا شك انه مات على حبل المشنقة ..

ـ آه .. لقد كان « اين ـ لان » يهمس له دائما فى اذنه : «سوف نتخلص من جميع اليابانيين فى الصين بعد الثورة .. »

واراد ـ بعد ان وصل الى البيت ـ ان يفسر الامر لـ «ناما» .. ان « ناما » هى فقط التى تهمه فى اليابان كلها .. ولكنها بدت مشغولة جدا ، بعد ان سمحت للخادمة ان تعود الى والديها لتخفف عنهما ، وان تغيب يومين او ثلاثة حتى تهدأ اعصابها ..

ولما حاول « آى ـ وان » ان يساعد زوجته فى اعمال البيت بعد انصراف الخادمة ، قالت له :

ـ لا يا « آى ـ وان » .. اذهب الى غرفتك الخاصة ، واسترح .. اننى استطيع ان اقوم باعمال البيت بمفردى ..

ومضى الى غرفته .. وكان يتمنى لو انها سألته فقط « كيف امكن ان يحدث هذا » لكى يشرح لها الامر .. ولكنها لم تحاول ان تقول شيئا .. وانتشرت الظلمة فى الجو ، واقبلت هى واضاءت نور الغرفة ، قائلة :

ـ « آي ـ وان » .. لماذا تجلس هكذا في الظلام ؟.. تعال . قد اعددت العشاء

وتناولت يده في رفق وحنان ، ومضت الى مائدة الطعام .. ثم راحت اثناء الاكل ، تتحدث بسرعة وانطلاق ، لا عما حدث .. وانما عن ذكرياتها مع ابيها وهي فتاة عذراء ، وتشيد بحنانه وعطفه . وهنا قال لها :

ـ حتى عندما اراد ان يزوجك بالجنرال سبكي ؟

فاجابت بثبات :

ـ انه لم يرد هذا ، الا وهو يعتقد تماما انه الصواب ..

وتلاقت نظراتهما برهة .. وقال لنفسه : « ما جدوى هذا الحديث ما داموا يعتقدون الخطأ صوابا »

ولزم الصمت ..



وبدا « آي ـ وان » يشعر في الاسابيع التالية ، ان كل شيء قد تغير في حياته بطريقة خفية مزعجة .. ان احدا لم يوجه اليه كلمة سوء او حتى عتاب ؛ ولكنه كان يشعر انهم ـ في اعماق نفوسهم ـ ينظرون اليه على انه واحد من افراد هذا الشعب الذي ارتكب تلك المجزرة في حق مواطنيهم المسالمين . وكان يقوم بعمله في ادارة الشركة كالمعتاد ؛ ولكنه لم يحتل مركز يونجي بعد تجنيده كما كان يتوقع .. وانما ظلت غرفة يونجي معلقة بضعة ايام ، حتى عين للادارة مدير ياباني ..!

وفي البيت ، كان كل شيء يبدو كما هو .. وكانت «تاما» حريصة اشد الحرص على توفير كل اسباب الراحة له . ولكنها امتنعت من الخروج معه الى النزهات كالمعتاد ، دون ان تذكر السبب الحقيقي .. وانما كانت تعتذر حينا بالتعب ، وحينا بكثرة اعمال البيت ..

وقد طلب منها ذات يوم ، ان يذهبا مع الطفلين الى الحديقة العامة ، فهزت راسها قائلة :

ـ انهما سعيدان هكذا .. فلماذا نتعب في الذهاب بهما الى هناك ؟

وكان يتساءل فيما بينه وبين نفسه :

« ترى هل تعانى الشيء الكثير من احتقار مواطنيها لانها زوجنى ؟ »

وحدث ان كان جالسا فى غرفة مكتبه الخاصة بالبيت ، حين سمع جيرو فى الحديقة يسأل امه قائلا :

ـ لماذا تبكى « مايا » كثيرا يا اماه .. انها لا تكف عن البكاء ، كلما ابتعدت منك

وسمع « آى ـ وان » زوجته تقول بهدوء :

ـ لان اخاها قتل يا جيرو ..

ـ ومن قتله يا اماه ؟

ـ الجنود الصينيون فى الصين ..

فرد الطفل بصوت كله استياء واستنكار :

ـ اذن فهم اشرار ..

وغضب « آى ـ وان » واطل من النافذة ، وقال لزوجته التى كانت تروى الزرع :

ـ « تاما ! » .. كيف يمكن ان يفهم الطفل هذا الحديث ؟

ورفعت عينيها اليه .. ولم تقل شيئا ، وقبل ان يستطرد هو فى الحديث ، رأى ابنه جيرو يجرى وراء فراشة ملونة ، يحاول الامساك بها ..

وتراجع « آى ـ وان » عن النافذة ، وقد رأى بنفسه ان الطفل نسى فى لحظة كل ما سمعه فى هذا الشأن !

وبعد نحو ساعة سمعها تنادى عليه .. فذهب اليها ، وراح يتمشى معها فى جوانب الحديقة وقد وضع ذراعه فى ذراعها ، وكان الطفلان قد اويا الى غرفتهما للنوم . وقرر « آى ـ وان » ان يتحدث مع « تاما » فى ذلك الموضوع ، بأية طريقة ، حتى يزيل الضباب الذى خيم على حياته بسببه ..

قال لها :

ـ هل كان الطفلان فى حالة طيبة اليوم ؟

فاجابت بهدوء :

ـ جدا ..

ـ انني ارجـو ان تفهمي : لمـاذا تحدثت بهـذه اللهجة بنـان جيرو ..

فقالت بسرعة :

ـ أوه .. طبعا .. ولكن الاطفال لا يتذكرون هذه الاشياء ..

وقرر ان يستمر في الحديث ، فقال :

ـ اري يا « تاما » ان الواجب يحتم علينا ان ننتظر حتى نعرف الحقيقة كاملة في ذلك الشأن .. لقد كتبت الى ابي اسأله ، وارجو ان اتلقى الرد بسرعة قبل ان اقرر شيئا ..

فقالت ، وقد شحب وجهها فجأة :

ـ تقرر ؟!

ـ اقصد ، أحكم في الموضوع ..

واشاحت بوجهها نحو البحر ، ولم تجب ... فقـال في اصرار ..

ـ الا ترين هذا ؟..

ولما استمرت في صمتها ، صاح غاضبا :

ـ « تاما » !

واخيرا قالت :

ـ ما شأن هذا الموضوع بحياتنا ؟!

وادرك انها تريد ان تتجنب الحديث في هذا الشأن ، ولكنه كان يدرك انها تحس به في اعماق نفسها .. ولعلها تراه مسئولا عما حدث بصفته مواطنا صينيا

واصر على ان يصل الى اعماق نفسها ، فقال :

ـ لابد ان تدركي ان هناك سببا يبرر ما حدث ..

فقالت بسرعة ، وكانما كانت الاجابة معدة منذ زمن طويل :

ـ ما قيمة تفكري او ادراكي ما دمت زوجة لك ..

وادرك ان هذه هي الاجابة التقليدية للفتاة اليابانية التي نشأت على وجوب طاعة زوجها .. ومن ثم ، قال بصوت مرتفع :

ـ لا تكوني .. يا تاما الى هذا الحد .. !

فقالت بهدوء :

ـ ولكنني يابانية فعلا .. !

وبعد برهة صمت ، قال :

ـ الحقيقة ، انك كونت فعلا فكرة خاصة من هذا الموضـــوع .. انك تؤمنين الان ـ دون مبرر ـ ان قومى سفاحون كالهمج فى الغابات البعيدة عن المدنيـة والحضـارة .. ولكن الحقيقة ، هى انك لا تعرفيننا .. واذا كان هذا رايك ، فانت لا تفهمينى . لقد تعذبنا سنوات طويلة ، بينما كان اليابانيون ينهبون ثرواتنا ، ويغتصبون اراضينا ، ويستولون على تجارتنا .. ..

واحس انه مخطىء بهذا الحديث ، لانه ـ جعلها رغما عنها ـ تقف فى صف مواطنيها للدفاع عنهم . ولكنه قرر ان يستمر فى هذا الحديث ، مادام قد بداه ، فقال بصوت مرتفع :

ـ انتى اعرف ماذا حدث .. ان جنودنا لم يســـــتطيعوا ان يحتملوا منظر العلم اليابانى يرفرف على « نكنج » بعد ان سقطت فى ايدى القوات اليابانية .. لقد تعذبنا كثيرا ..

وهنا صاحت قائلة فى حماس وعنف ، وهى تهز ذراعه :

ـ ومن الذين قتلوا اليابانيين فى « نانكنج » فى ٢٧ مارس عـــام ١٩٢٧ ؟. ومن الذين قتلوا اليابانيين فى شنغهاى عام ١٩٣٢ ؟

فهتف قائلا :

ـ هل تعتقدين انتى مسئول من هذا ؟

فهزت راسها قائلة ؟

ـ لا .. ولكن قومك هم المسئولون !

فقال :

ـ وما الفرق بينى وبينهم فى نظرك ؟ الست واحدا من هؤلاء الذين ينبغى قتلهم فى رايك ؟!

واحس فى تلك اللحظة ان الذى يتحدث من لسان كل منهما ، ليس الزوج والزوجة .. وانما الدماء التى تجرى فى عروقه منذ الازل . وفجاة راها تهرع الى ذراعيه ، وتخفى راسها فى صدره وتنفجر باكية ، لقد انهارت اخيرا .. ولكنه لم يشعر باى انتصار ، لانها رغم انهيارها لم تستسلم تماما لآرائه !

وقال لها هامسا :

ـ كفى بكاء .. اخشى ان يستيقظ جيرو .. فماذا تقول له ؟

وراح يمسح على شعرها بحنان . وهو يقول :

ـ انك على صواب .. والحقيقة انه مهما يحدث خارج حبنا لا ينبغي ان يكون له تاثير سيء على سعادتنا ..

وراح يضمها الى صدره بنفس القوة التي كانت تضمه بها اليها، واحس في تلك اللحظات انه لا توجد قوة في الارض تستطيع ان تنال من حبهما الخالد !

وعندما أويا الى فراشهما ، مد يده اليها .. واستدارت نحوه في استسلام وابتسام . وفجأة احس ان كل رغبة جنسية نحوها قد تلاشت ، وفي نفس اللحظة ، احست من عدم استجابتها الطبيعية له ، ان هذا هو نفس شعورها . ان مايحدث بين بلديهما قد امتد الى حياتهما وافسدها ..

ـ

الفراق

ادرك « اى ـ وان » مبلغ حماقته حين ظن ان كل ما يحدث خارج حياته وحياة « تاما » لا يمكن ان يكون له تأثير عليهما . لقد وجد ان ما يحدث بين بلده وبين اليابان له اكبر الاثر على حياته الزوجية .. كان كالسبح الرهيب الذى انتزع منهما كل احساس بالسعادة والاستقرار ، وملأ قلب « اى ـ وان » بالوحدة والشعور بالعزلة .. بل لقد بدأ يشعر ان طفله جيرو اصبح يشارك الشعب اليابانى فى النفور منه وكراهيته ، ولكنه عاد وقال لنفسه : ان هذا لايمكن ان يكون !

وكان اشد ما يثير عجبه وقلقه : عدم ورود اية خطابات اليه من ابيه او من « اى ـ كو » . وكثيرا ما كان يقول لنفسه : انه ليس من المعقول اطلاقا ان يهمل « اى ـ كو » ، على الاقل ، فى ارسال الخطابات اليه .. فما معنى هذا ؟!

معناه الواضح ان هناك رقابة عليه .. رقابة من ادارة الشركة او من السلطات المسئولة ، تحول دون وصول خطابات اسرته فى الصين اليه !

وفى الوقت نفسه ، كان ممنوعا عن قراءة الصحف اليابانية بوجه عام حتى لا يسمم افكاره بما ينشر فيها ضد بلاده ، كما انه لم يكن يثق فى كثير مما ينشر بها يومذاك ..

وفى ذات يوم صباحا ـ اى عند وصوله الى مكتبه بالادارة ـ وجد رجلا يجلس فى مكتب يونجى ـ سبق له ان عرفه وكرهه حالما وقع بصره عليه

قال ذلك الرجل الذى لم يكن يتجاوز الثلاثين من عمره :

ـ انني « هيدبوشي » وقد صدر الامر بترقيتي من مدير مساعد في فرع بوكوهاما الى مدير للمركز هنا .. ومن سوء حظي ان نظري ضعيف ، ومن ثم حرمت من شرف الحرب من اجل بلادي في الصين .. اجلس ..

واشار الى مقعد جلس عليه « آي ـ وان » بعد ان انحنى احتراما . وفجاة انفجر « هيدبوشي » ضاحكا ، وقال :

ـ هل قرات صحف هذا الصباح ؟

فقال « آي ـ وان » بهدوء ، وهو يشعر ان كراهيته نحو هذا الرجل تزداد :

ـ لا .. لم اقراها ..

فالقى اليه بصحيفة ، وقال :

ـ اقراها اذن .. ان الخبر الذي ورد فيها من الصين مضحك جدا ..

وطاف « آي ـ وان » بنظراته على الصفحة الاولى ؛ ولم يلبث ان قرا الخبر التالي الذي كان بعنوان : « الطيارون الصينيون يساعدون القوات اليابانية » و « الطيارون الصينيون يضربون شنغهاي بالقنابل .. اضحكوا .. اضحكوا . طيار صيني شاب اراد ان يسقط قنابله على اهداف يابانية ، فاسقطها على شوارع شنغهاي المزدحمة .. اضحكوا .. اضحكوا .. مئات من الصينيين يقتلون .. »

ورفع « آي ـ وان » راسه ليرى « هيدبوشي » لايزال يضحك ، ثم يقول :

ـ انها ماساة ، ولكنها تثير الضحك رغما عن النفس .. اليس كذلك ؟

وقال « آي ـ وان » بصوت مختنق :

ـ هذا افتراء .. هذا غير صحيح ..

فقال « هيدبوشي » بحدة :

ـ لا .. ان جميع الصحف نشرت هذا الخبر فعلا من وكالات الانباء المحايدة ، وان الجميع في اليابان يضحكون . ولاشك ان الانجليز والامريكان سيعلمون الى اي حد يبلغ كرم الصينيين ،

وطيبة قلوبهم ، اذ راحوا يساعدون اعداءهم اليابانيين بقتل مواطنيهم !

فقال « آى ـ وان » بنفس الحدة :

ـ اذن فأنت تعترف ان اليابانيين يقتلون الصينيين !

فلوى « هيديوشى » شفتيه وقال :

ـ اننا لم نعد نحتمل اهاناتهم اكثر مما فعلنا .. لقد صبرنا سنوات ، ونحن نتحمل اساءاتهم ، وتحاملهم ومفترياتهم ، واغتيالاتهم لرجالنا .. ومن ثم قرر امبراطورنا ان نضع حداً لعداوتهم لنا ، وأن ينتزع كراهيتهم لنا من قلوبهم حتى يتعاونوا معنا ..

فحملق « آى ـ وان » فى وجهه وقال :

ـ اتعنى ان تقول انكم ستستمرون فى قتل رجالنا ، واغتصاب نسائنا ، وتدمير مدننا ، وسفك دمائنا ، حتى نتعلم كيف نحبكم ؟

وجاء دور « آى ـ وان » لكى يضحك عاليا ، وهو يستطرد قائلا :

ـ اتريد منى ان احبك ! اترى انه يجب ان احبك يا مستر « هيديوشى » ..؟!

وعندئذ قال « هيديوشى » مرتبكا :

ـ اننى لا اعنيك يا مستر « آى ـ وان » .. اننا ننظر اليك باعتبارك يابانيا ، لانك امضيت بيننا سنوات عديدة ، ومتزوج من سيدة يابانية

وتوقف « آى ـ وان » عن الضحك فجأة ، فقال له « هيديوشى » :

ـ ماذا بك ؟

ـ لا شىء .. لقد ادركت الحقيقة فى لحظة . حقا ليس هناك ما يثير الضحك

ثم نهض وانحنى ، وعاد الى مكتبه وهو يحس بالاختناق ، ورأسه يكاد ينفجر من الالم . وفتح درجا فى مكتبه ، وتناول بعض السجلات ، ثم تظاهر بالعمل ، بينما كان فى الحقيقة يعود بذاكرته الى صديقه « اين ـ لان »

انه يحاول ان جذكر تلك القائمة التاريخية التى سجل فيها « ابرو » لان « جميع اعتداءات اليابان على الصين منذ فجر التاريخ . وكانت قائمة طويلة مليئة باغتصاب الاراضى ، واحتكار التجارة ، وتقديم القروض للاقطاعيين العسكريين لشن الحروب بعضهم على بعض ، وتهريب الافيون ليتعود الشعب الصينى ادمانه ليتحلل اخلاقيا وجثمانيا ، والاستيلاء على كياتشاو والمطالب الحادية والعشرين ، وغير هذا كثير ..

فكيف يمكن — بعد هذا كله — ان يكون يابانيا ؟!

وبعد يومين ، نشرت الصحف انباء جديدة .. ذلك ان « هيد يوشى » أطل براسه صباح يوم من مكتبه ، وقال « لاى — وان » وقد التمعت اسنانه بابتسامة صفراء :

— اننا الان نقوم بتدمير شنغهاى بطائراتنا الخاصة لا بطائرات الصين .. هل قرات صحيفة ازاكامايتشى اليوم ؟



وحملق « آى — وان » اليه دون ان يجيب . وتمنى فى تلك اللحظة لو انه استطاع ان يسحقه بقدمه، كما يسحق الانسان حشرة سامة . ويبدو ان « هيد يوشى » ادرك معنى هذه النظرة ، فتراجع براسه الى مكتبه صامتا

ومع ذلك فان الكراهية لم تكن هى الحافز على هذه الخطوة التى استقر عليها رايه فى تلك اللحظة .. وانما كان السبب شيئا آخر مختلفا تماما .. سببا متغلغلا فى اعماق نفسه ، لا مجال فيه للكراهية او الحقد ..

ذلك انه سمع ذات يوم رجلا عجوزا ، يقول معلقا على مقتل ابنه فى الحرب : « اننى سعيد بتضحية ابنى الوحيد فى سبيل بلاده »

واضاءت هذه العبارة طريقه الذى راى ان واجبه يحتم عليه السير فيه . لقد راى ان هذا الطريق هو نفس الطريق الذى دفع به ابناء الشباب لان يضحى بكل ما كان يستمتع به من ترف الحياة فى سبيل خدمة وطنه ..

واحس فجأة انه عاد الى طبيعته القديمة .. طبيعته التى كانت

تجعله بحلم دائما برفعـــة وطنه ، ويكرس حيـاته من اجله .. لشـد ما يحب هؤلاء الناس وطنهم . انه الحب الذى جعل وجـه ذلك الرجل العجوز يشرق بالسعادة ، وهو يتحـــدث من مقتل ابنه فى سبيل الوطن .. انه اعظم واسمى واجمل حب فى الوجود !. انه الحب الذى يجعل اى حب آخر باهتا ، سخيفا ، مليئا بالانانيـة والضعف . ولى خضم هذا الحب المقدس ، قرر « آى ـ وان » ان يلقى بنفســه ..

وسار فى الطريق الى بيته ،وقد قرر ان يعود الى وطنه ليشـارك قومه الكفاح ضد الغزاة . ولكن المشكلة التى كان يواجهها فى تلك اللحظة هى كيف يخبر « تاما » بهذا القرار !

وقرر ان يخبرها بمجرد وصوله الى البيت حتى لا يضعف او يتردد ..

قال لها حين هرعت اليه كعادتها تستقبله ، وقد توردت وجنتاها بالسعادة اللقائه :

ـ اسمعى يا « تاما » يجب ان اعود الى وطنى .. انهم فى حاجة الى هناك !

وكان صوته هادئا حتى لا يزعجها ، ولكنه احس بجسـمها يرتعد، وهو يضمها الى صدره . ورفعت وجهها اليه فى هدوء دون انتقول شيئا ، اما هو فقد استطرد يقول بسرعة :

ـ لقد كنت شقيا بائسا فى الاسابيع الاخيرة ، لانى لم اكن ادرى ماذا ينبغى ان افعل ..

واومات براسها ، ومسحت عينيها بطرف كمها ، وقالتببساطة :

ـ يجب طبعا ان تعود الى وطنك ، اذا كنت ترى انه فى حاجة اليك !

ثم اردفت قائلة ، وهى تعض بحلقها :

ـ اننى كمواطنة يابانية ، افهم شعورك تماما ..

وكان يشعر بقلبها يخفق بشدة على صدره ، ويبين مدى اضطرابها ، رغم تظاهرها بالهدوء ..

وعاد يقول هامسا :

ـ وانت تعرفين ان هذا كله لن يكون له اى تاثير على حبنا ..

فتراجعت عنه قليلا ، وقالت :

ــ طبعا .. طبعا .. بكل تأكيد . ما شأن هذا بمشاعرنا الخاصة ؟! ولكن علينا الآن ان نفكر فيما ينبغى ان نفعل قبل رحيلك بعده ..



قال لها وهما جالسان فى غرفتهما ، جنبا الى جنب ، ينظران فى سكون الليل الى البحر البعيد :

ــ ماذا ستفعلين بالطفلين بعد رحيلى ؟

وكانت الاجابة معدة ، اذ قالت فورا :

ــ يمكننا طبعا ان نعود فى اى وقت للاقامة مع ابى .. انه كما تعلم شديد التعلق بهما ..

فقال لها بعد تردد :

ــ هل ستعاونيهما على ان يتذكرانى ؟

واحس بيدها تضغط على يده ، ثم قالت :

ــ هل يجب ان اتخلى عن وفائى كزوجة لان هذه الحرب تلقى بظلها الكئيب علينا ؟

ثم اردفت تقول بحماس :

ــ وهل تظن انى اعتب عليك او غاضبة منك ؟.. انك بهذا الرحيل لا تتخلى عنا او تهجرنا ، وانما انت تؤدى واجبك نحو وطنك الذى هو اغلى واعز من الزوجة والابناء .. سوف اقول لكل منهما : افخر بابيك الذى ذهب للدفاع عن وطنه . انى اريد ان تصنع لك صورة كبيرة كما انت الآن . ولسوف اضع هذه الصورة امام الطفلين فى ابرز مكان ، ثم نضع كل يوم الازهار حولها ، ونصلى من اجلك ..

وتهدج صوتها ، وتوقفت عن الحديث فجاة ..

وقال هو متأثرا :

ــ سوف اصنع هذه الصورة غدا ..

واحس بجسمها يرتعد بجانبه ، ولكنها قالت بصوت هادىء بعد فترة صمت :

ـ هل ستحتاج الى حقيبة سفر اخرى جديدة ، او ان التى لدينا تكفى ؟

ـ انها تكفى ، لاننى لن آخذ معى الا القليل جدا ..

ولما رآها ترتعد بقوة ، ضمها الى صدره وراح يمسح على راسها وقال :

ـ مهما طال امد هذه الحرب ، ومهما حدث ، فسوف نلتقى مرة اخرى ما دمنا على قيد الحياة ..

فهمست قائلة :

ـ عندما ياتى الوقت المناسب ، ارسل الى .. وسوف آتى اليك بالطفلين فى اول باخرة تبحر من ناجازاكى

وبعد برهة صمت ، قال :

ـ اعتقد اننى يجب ان استقل الباخرة التالية ، انها ستبحر بعد اربعة ايام . وهذه فترة كافية لاعداد كل شىء . ويجب ان امضى واخطر والدك

ـ لا .. لسوف اخبره انا .. اننى لا اريد ان افترق عنك لحظة فى هذه الايام الاربعة !

ـ الا ترين اننى اذا لم اخبره فقد يظن انى ..

ـ لا .. لا ... انهم جميعا سوف يقدرون موقفك ، ويفهمون احساسك

ثم اردفت قائلة فى زهو :

ـ ان اى يابانى يستطيع ان يفهم حقيقة شعورك فى مثل هذا الموقف



وجاءت اخيرا لحظة الفراق .. وكان « آى ـ وان » يستطيع ان يرى من شرفة بيته الباخرة التى ستقلها فى الميناء ، وقد تصاعد الدخان من مداخنها استعدادا لابحارها ..

وكانا قد اتفقا على الا يخبرا الطفلين بشىء .. ومن ثم خرجا اليهما ، ويد كل منهما فى يد الآخر ، حيث راياهما يلعبان فى الحديقة،

ويحاولان اقامة سد صغير على مياه الجدول. ووقف «آى ـ وان» ينظر اليهما ، وهما مستغرقان فى عملهما ، وقد احس بقلبه يعتصر فى صدره وينزف دما ..

وكان يتساءل : هل سيراهما مرة أخرى بعد ان يستدبر بظهره اليهما ويرحل ؟

وخشى ان يضعف فى تلك اللحظة ، فضم « تلما » الى صدره ، وقبل وجنتها وهو يقول :

ـ لسوف ارسل اليكم لادعوكم ، بمجرد ان يحين الوقت المناسب ..

ثم استدار ، ومضى ..



في أرض الوطن

تعرف « آي ـ وان » على ظهر الباخرة بمواطن صيني عائد من امريكا للدفاع عن وطنه ، وكان قد هاجر اليها منذ شبابه الباكر . وكان يدعى « جاكي ـ ليم » ، وكان يشتغل كواء في شيكاغو ..

ولما وصلت الباخرة الى شنغهاي ، صعد « آي ـ كو » اليها لاستقبال اخيه « آي ـ وان » وشعر « آي ـ وان » بالسرور حين راى ان « آي ـ كو » لم يصحب معه زوجته الافرنجية . وكان مرتديا ملابس ضابط برتبة كابتن ، وكانت فاخرة انيقة جعلت « جاكي ـ ليم » ينظر اليه مدهوشا في شيء من الرهبة والعجب . وبعد ان تبادل الشقيقان التحية ، قال « آي ـ وان » :

ـ هذا يا « آي ـ كو » مواطننا الباسل « جاكي ـ ليم » الذي ترك اسرته وعمله في امريكا وجاء للدفاع عن وطنه ..

وتقدم « جاكي ـ ليم » مترددا ، ومد يده وهو يبتسم في حياء ، ولكن « آي ـ كو » نظر اليه برهة متجاهلا اليد المبسوطة ، ثم انحنى بايماءة خفيفة ، ثم استدار بظهره اليه ليستأنف الحديث مع اخيه . ولاحظ « آي ـ وان » العرق ينصب من جبين « جاكي ـ ليم » وهو يعيد يده الى جيبه في خجل شديد

وارسل « آي ـ وان » نظرة غاضبة الى اخيه « آي ـ كو » ، ثم قال « لجاكي ـ ليم » :

ـ ارجو ان تكتب الي يا « جاكي ـ ليم » بمجرد وصولك الى مسقط راسك ، واخبرني باسم الفرقة التي ستنضم اليها ..

وارتسمت ابتسامة بلهاء على وجه « جاكي ـ ليم » وقال :

ـ بكل تأكيد .. انني لست بارعا في الكتابة .. ولكنني ساحاول

وتصافحا ، وافترقا ..

وقال « آي ـ وان » وهو يستقل مع اخيه السيارة الفاخرة التي كانت في انتظارهما خارج الميناء :

ـ ان « جاكي ـ ليم » مواطن طيب شديد الحماس لوطنه .. وهو ذاهب الآن الى جده في كانتون ليراه ، ثم يسجل اسمه للاشتراك في هذه الحرب ..

وكان « آي ـ وان » يريد ان يجعل « آي ـ كو » يقدر بطولة هذا الرجل الذي ترك كل شيء ليدافع عن الوطن . ولكن « آي ـ كو » قال باستخفاف :

ـ ان لدينا الكثير من امثاله .. اكثر مما نريد ! انهم حمقى متحمسون ، ولا شيء غير هذا . لقد كادوا يصيبوننا بكارثة حين اسقطوا القنابل على شنغهاي . وامس فقط اسقطوها على باخرة امريكية ، وهم يحسبونها يابانية .. وطبعا اضطررنا للاعتذار ودفع مئات الآلاف من الدولارات على سبيل التعويض . انني في الحقيقة لم اعد اشعر بالفخر لانني مواطن صيني منذ جئت !

وادرك « آي ـ وان » ان الزوجة الاوروبية هي المسئولة عن هذه الحالة النفسية التي يعانيها اخوه .. لا شك انها راحت تنتقد كل ماتراه ، وتشكو من كل شيء ، وتنغص حياته بالتذمر لاتفه سبب ، حتى لو كان السبب حرارة الجو صيفا ..

وعاد « آي ـ كو » يقول :

ـ الحقيقة يا « آي ـ وان » ان اليابانيين متفوقون علينا في كل شيء .. في البحر والبر والجو .. هذا عدا الفساد الذي ينخر في قلب حكومتنا .. تصور ان امراة هي التي ترأس السلاح الجوي باكمله ..!

ـ امراة ؟ من هي ؟..

ـ مدام شيانج ـ كاي ـ تشيك ! .. انها سيدة كل مؤهلاتها للوصول الى هذا المنصب هي كونها زوجة لرئيس الحكومة ! انني سعيد لسفري الى كانتون ..

ـ هل انت مسافر الى هذه المدينة ؟

ـ نعم .. سنسافر الاسرة كلها فيما عدا ابي .. وقد سبقتنا

فريدا منذ للالة اسابيع . انها لم تستطع الحياة هنا ، كما انها رفضت الاقامة فى بيت واحد مع العجائز .. انها حساسة جدا ..

وكاد « آى - وان » ان يضحك وهو يسمع العبارة الاخيرة ، ولكن « آى - كو » استطرد قائلا :

- اما انا فسوف استلم منصبا تحت رئاسة الجنرال باى .. هذه هى اوامر الجنرال شيانج - كاى - تشيك

- ومتى ستسافر الاسرة ؟

- الليلة ..

وخيم الصمت على الاخوين .. وكان « آى - وان » طوال الطريق يرى آثار الدمار فى كل مكان بالمدينة .. فى شوارعها ، ومبانيها ، ومتاجرها ، وعلى وجوه سكانها .. واخيرا قال « آى - وان » :

- اخبرنى يا « آى - كو » بحقيقة ما يجرى هنا !

فهز « آى - كو » كتفيه المزينتين بالشرائط العسكرية ، وقال باستخفاف :

- كما ترى .. ان الناس يجرون هنا وهناك كما ترى ، بلا نظام او هدف معين ، ويبدو ان الدمار سوف يلحق كل شىء ، لان النظام معدوم هنا تماما . وان شيانج يجلس فى العاصمة نانكنج كالعنكبوت فى وسط بيته المنسوج ، الا انه لا يصيد ذبابا ..!!

وضحك « آى - كو » مما ظنه فكاهة بارعة ، بينما قال « آى - وان » فى لهفة :

- ولكن .. لا بد ان هناك خططا موضوعة ومعدة للتنفيذ فى الوقت المناسب

فرد « آى - كو » قائلا :

- انى لم ار شيئا من هذا القبيل ؛ وعندما عدت من المانيا ، كنت اظن انى ساجد جيوشا منظمة ومدربة على النمط العسكرى الحديث ، ومزودة باحدث ادوات القتال .. ولكننى فوجئت برؤية مجموعات من الجنود ، كل مجموعة تفعل ما يحلو لها ، ولا تطيع اوامر احد : وتهجم على الاعداء فى الوقت غير المناسب ، وتنسحب بغير انتظام عندما لا يجوز الانسحاب !

وهنا قال « آى ـ وان » معرضا باخيه :

ـ من العجيب ان اسمعك تتحدث عن النظام والطاعة !

واحمر وجه « آى ـ كو » وقال :

ـ تعلمت هذا في المانيا .. وسر تفوق الجيوش اليابانية هو النظام والطاعة . ولهذا فاننا لن ننتصر ابدا طالما ان هذا هو حالنا ...

ورأى « آى ـ وان » ان يغير موضوع الحديث ، فقال :

ـ الم يسمع احد من افراد الاسرة شيئا من بيوني ؟

ـ لا .. مطلقا .. وهذه هي نتيجة عنايتنا بها ، ورعايتنا لها ، وكأنها ابنتنا ..

ـ لا تنس انها كانت تعمل نظير هذا كله ..



وكان القصر كما تركه « آى ـ وان » تقريبا ، الا انه بدا اكثر وحشة وكآبة وصمتا . ولم تعرفه جدته التي كان الكبر قد افقدها نور البصر ، واثقل سمعها ، وامتص ماء الحياة من جسمها ، ولكن جده كان على حاله ، وان بدا اكبر سنا بطبيعة الحال ، لقد رآه مرتديا بدلة المارشالية ، ومزينا صدره بالنياشين والاوسمة التي اشتراها على مدى السنين ، وامامه الخرائط والمشروعات التي يرى ان فيها النصر المؤكد على الاعداء ..

واستقبلته امه بالدموع والقبلات ، وقد بدت اكثر سمنة ، واكبر عمرا .. واخيرا اقبل والده من الخارج ، فعانقه ورحب به ، ثم انفرد معه في غرفته الخاصة . وكان الوالد قد بدا اكثر هدوءا ، ولكن المشيب كان قد خط كل شعرة في رأسه

قال له :

ـ انك لن تسافر مع الاسرة الليلة الى كانتون ، لان الجنرال شيانج ـ كاى ـ شيك سيعهد اليك بمهمة خاصة ..

ونظر « آى ـ وان » الى والده في دهشة . أيريد شيانج ـ كاى ـ شيك ان يتحدث معه . وهو نفس الرجل الذى اراد يوما ان يقتله ، والذى لا شك انه قد قتل « آى ـ لان » وغيره من الشبان الذين كانوا يريدون اصلاح امر بلادهم !

وقال اخيرا :

ـ حسنا يا ابي .. كما تريد ..

ثم اردف قائلا :

ـ ارجو ان تاذن لي بالذهاب الى غرفتي لاستريح قليلا ..

واوما له والده براسه ، فنهض وذهب الى باب غرفته الخاصة، ففتحه ودخل وهو يتوقع ان يرى يوني تسدل الستائر ، او ترتب الفراش ، او تزيل الغبار عن المكتب ، كما تعود ان يراها . ولكنه راى كل شيء في الغرفة مرتبا ، منظما ، نظيفا ، كانه لم يتركها الا في اليوم السابق

وتذكر شيئا .. تذكر الصفحات التي كان « اين ـ لان » قد كتب فيها تاريخ حياته ، وافضى بذات قلبه في سطورها . فاسرع « آي ـ وان » الى الدرج الذي وضع فيه الصفحات تحت مجموعة مهملة من الكتب ، ولكنه لم يجد لها اثرا ! وادرك من تراكم الغبار على الكتب ، وفي داخل الدرج ، ان احدا من سكان البيت لم يلمس الكتب اثناء غيبته .. اذن ، فمن اخذ هذه الصفحات ، وهل كانت هذه الصفحات التي سرقت سببا في القبض على زملائه في الجمعية ، ومصرع صديقه الحميم « اين ـ لان » ؟!

وتفصد العرق من جبينه ، وهو يتخيل والده ـ لا .. ليس والده .. ان والده لم يكن يدخل غرفته هذه اطلاقا .. لا شك انها يوني .. ولعل اختفاءها يفسر هذه الخيانة التي ارتكبتها.. واذا صح هذا ، فسوف يكون هو المسئول عن هذه الكارثة التي حاقت بزملائه ..

واستبدت به الهواجس حتى اطارت النوم من عينيه معظم ساعات الليل .. وفي الصباح ، سأل والده وهما على مائدة الافطار :

ـ كثيرا ما تساءلت يا ابي ، خلال هذه السنوات ، عن الشخص الذي حدثك عن جمعيتنا الثورية السرية ..

واجاب ابوه بهدوء :

ـ انه شيانج ـ كاي ـ تشيك بنفسه ..

ـ عجبا ! وكيف عرف هو ؟ ..

ـ انه يعرف كل شيء . وكثيرا ما تحدثت معه على انفراد ، لنقرر ما ينبغي ان يصلح لبلادنا ، واتفقنا على ان تقدم له ـ نحن اصحاب الاموال ـ ما يحتاج اليه من قروض لتحرير الوطن من الفساد ، بشرط ان يقضي على الشيوعيين جميعا . ولما اطلعني على القائمة التي تحمل اسماء افراد جمعيتكم ، وجدت باسمك بينها .. وعندئذ اقسمت له ان ارسل بك الى خارج البلاد حتى ينضج تفكيرك ، وتعلم ان الامم لا تنهض على مثل هذه المبادىء الهدامة !

ـ الم يخبرك عن اسم الشخص الذى قدم اليه القائمة .!!

ـ نعم اخبرني .. انه زميل لكم يدعى « بنج ـ ليو »

وتنهد « اى ـ وان » في ارتياح وقال :

ـ اذن فهو الخائن ..!

وقال والده في ازدراء :

ـ وكان هو اول من علق في المشنقة .. ان شيانج لا يحب الخونة ، ايا كانت الفائدة التي يجنيها منهم ..

فقال « اى ـ وان » مدهوشا :

ـ ولكن كيف يغريه ويرشوه ويستفيد منه ، ثم يقتله ؟

ـ لانه يعلم ان الذى يخون زملاءه ، لا يتورع عن خيانة رؤسائه . وهو رجل حازم قوى عنيف ، الا انه صادق مع نفسه .. انه يفهم كل شيء ، ويكتسح امامه جميع الذين لا يثق فيهم بعد ان يستنفد اغراضه منهم

ـ انه في هذه الحالة يكون انتهازيا !

فهز الوالد كتفيه ، وقال :

ـ ان الانتهازية قد تكون في بعض الظروف حكمة وفضيلة ، تماما كالانسحاب في المعركة .. اذا ثبت ان الصمود لن يؤدى الا الى مزيد من الخسائر !

ونقر الوالد على المائدة ، وقال :

ـ اؤكد لك يا « اى ـ وان » ان هذا الرجل هو الوحيد في الوقت الحاضر الذى يستطيع ان يوحد قوى البلاد لمقاومة الغزو الياباني . وهذا ما جعله يقضي على الشيوعيين حتى لا تقوم الحروب الاهلية بينهم وبين اصحاب المذاهب الاجتماعية الاخرى ، فتتمزق

وحدة البلاد .. وينتهز اليابانيون الفرصة فيلتهموننا جميعا ..

وفجاة قال الوالد ، يغير موضوع الحديث :

ــ كيف حال زوجتك اليابانية ؟ اعتقد انك كنت اكثر توفيقا فى الزواج من اخيك « أى ــ كو » .. ان زوجته البيضاء ساخطة هنا على كل شيء . ولكنني اعرف ان الزوجة اليابانية هى احسن زوجة فى العالم . انها تدرك تماما ان مكانها يجب ان يكون بجانب زوجها فى جميع الظروف . ولهذا باركت زواجك بها . واعتقد ان هذه الحرب لن يكون لها اثرها السيىء على علاقتكما . ان الحمقى والجهلاء فقط هم الذين يخلطون بين العلاقات البشرية العامة ، وبين سياسة الدول وخلافاتها !

وامتلأ قلبه بالعرفان لابيه الذى كان صوته متدثرا مفعما بالحب والحنان . واحس بالرغبة فى ان يقول له كل شيء عن « تاما » . واخيرا قال :

ــ انها زوجة رائعة يا ابى .. لم ار فى حياتى انسانة وفية مثلها .. انها متفانية فى الاخلاص لى ، وانا لا افكر فيها على انها يابانية ، وانما على انها زوجتى وشريكة حياتى وام ابنائى ..

وقال الوالد وقد بدا كانما يفكر فى شيء آخر :

ــ اجل ، اجل .. ولكن .. كيف ستتراسل معها ؟ ان من الخطر فى الوقت الحاضر ان تتراسلا مباشرة . ولهذا اقترح ان تتراسلا عن طريق البنك .. فهذا اسلم ، لانه لو علم احد من المتهوسين انك تراسل زوجة يابانية ، فربما اغتالك . ولهذا ارسل خطاباتك على عنوانى بالبنك ، وسوف ارسلها اليها عن طريق شركة ابيها . واطلب منها ان تفعل المثل ..

وازداد احساس « أى ــ وان » بالعرفان لجميل ابيه ، ولكنه قال :

ــ شكرا جزيلا يا ابى . ولكن ، الا يعرضك هذا للخطر ؟

فابتسم والده ، وقال :

ــ لا .. انهم جميعا يعرفوننى ، ولا يجرؤ احد على اغتيالى ، لانى صديق شخصى لشيانج ــ كاى ــ تشيك . والجميع يخشونه ويهابونه . وسوف ترى بنفسك حين تقابله انه يبعث الرهبة فى النفس ..

مفاجأة العمر

واحس « آى ـ وان » بالرهبة قبل ان يدخل مكتب الجنرال شيانج ـ كاى ـ تشيك . لقد استقبلته فى غرفة الانتظار بمركز القيادة العامة فى نانكنج سيدةشابة صبية الملامح ، اوروبيةالسمت .. فى حركاتها وسكناتها وطريقة حديثها . وعلم انها زوجة الجنرال الاخيرة التى تزوجها بعد ان طلق جميع زوجاته الاخريات ، وانهـا سكرتيرته الخاصة ، ورئيســة الســلاح الجوى ايضا ..

قالت له بعد ان استقبلته :

ـ ارجو ان تكون على حذر ياسيدى .. ان الجنرال لايحب ان يتحدث احد معه بغير اللغة الصينية ، وهو يغضب جدا اذا ادخل احد بعض الكلمات الاجنبية فى حديثه معـــه . وكثيرا مايقول : « ان اللغة الصينية قادرة على التعبير عن كل شىء »

ورد « اى ـ وان » قائلا وهو يبادلها الابتسام :

ـ اطمئنى ياسيدتى ، سأكون على حذر فى هذا الشأن ..

ولما دخل على الجنرال ، وجده جالسا الى مكتبه ، مهيب السمت نعلا ، مزموم الشفتين وهو يقلب فى بعض السجلات امامه . واخيرا رفع راسه الى « آى ـ وان » ونظر نحوه لحظات برهة ، ثم قال :

ـ ان والدك صديقى ..

وانحنى « آى ـ وان » فى احترام . بينما استطرد الجنرال قائلا وهو يتناول خطابا مختوما بالشمع الاحمر :

ـ ان لهذا الخطاب اهميته البالغة . واريد ان تسلمه الى قائد معين فى الجيش الشيوعى . وهو سيسلمه بدوره الى اثنين من قواد هذا الجيش

وقال « آي ـ وان » :

ـ حسنا ياسيدي ..

ولكنه في الوقت نفسه لم يستطع ان يفهم كيف يراسل هذا الرجل اعداءه الذين اراد يوما ان يذبحهم عن آخرهم . وقبل ان يمعن التفكير في هذا الشأن ، سمعه يقول :

ـ لقد اخترتك لتسليم هذا الخطاب لان والدك اكد لي انني استطيع ان اضع ثقتي فيك .. ماذا لو تبت العكس ، سوف يكون مصيرك هو نفس مصير كل خائن !.. اننا نمر بظروف لامجال فيها للرحمة .. ان والدك يعرف هذا ، وينبغي ان تعرفه ايضا ، وان طائرتي الخاصة معدة لك .. وسوف ترحل عليها فورا ..

وقال « آي ـ وان » :

ـ لحظة واحدة ياسيدي الجنرال .. هل انتظر حتى آتي بالرد ؟

ـ سوف تنتظرك الطائرة حتى تعود بك .. »

ثم ضغط على زر جرس امامه ، فانفتح الباب ، ورفع « آي ـ وان » يده بالتحية العسكرية على الطريقة الالمانية . وعندئذ ساله الجنرال بحدة :

ـ هل انت ايضا مدرب عسكريا ؟ لقد ظننت ان اخاك فقط هو الذي تلقى علومه العسكرية في الخارج ..

ـ انني لم اذهب الا الى اليابان ..

ـ وهل تعلمت الفنون العسكرية هناك ..

ـ لا .. تعلمتها في بيت ابي على يدي ضابط الماني ...

وضغط الجنرال على جرس امامه ، فاغلق الباب مرة اخرى ، ثم قال لـ « آي ـ وان » :

ـ قيل لي ان اليابان على وشك الانهيار داخليا ، فهل هذا صحيح ؟

ـ لا .. هذا ابعد شيء عن الصحة ..

ـ وهل الرخاء موفور هناك ؟

ـ اجل ..

ـ قيل لي ان اليابانيين لايريدون الحرب . فهل هذا صحيح ؟

ـ انهم على ولاء كبير لحكومتهم ..

ـ هل انت واثق مما تقول ؟
ـ كل الثقة ..
ـ وهل هم لايزالون يعبدون الامبراطور ؟
ـ اجل ..

وهز الجنرال راسه ، ثم قال فى صوت ينم من الاسى :

ـ اذن فهم يكذبون على .. هؤلاء الذين حولى . انها ستكون حربا طويلة الامد !

ـ نعم ياسيدى الجنرال .. يجب ان نوطن انفسنا على انها حرب طويلة الامد !

واوما الجنرال براسه ، وقال :

ـ هذا يعنى ان علينا ان ندعهم يستنفدون قواهم كلها ،وينشرونها فى اكبر مساحه ممكنة ، ثم نبدا فى الهجوم عليهم وطردهم بعد ان نستكمل جميع استعداداتنا ..

وفتح الباب ، واطلت مدام شيانج ـ كاى ـ تشيك براسها وقالت :

ـ اليس من الافضل ان يبدا المستر « آى ـ وان » رحلته الآن حتى يتمكن الطيار من الهبوط فى منتصف الطريق قبل الظلام ..

ـ اجل .. اجل . اذهب يا « آى ـ وان »



واحس « آى ـ وان » وهو يطير فى سماء بلاده بالزهو يملا قلبه . لقد طار على الجزر اليابانية ، وامكنه الآن ان يقارن بين تلك الحفنة من الجزر المتناثرة فى المحيط الهادى ، وبين هذه البلاد الشاسعة الواسعة التى يتكون منها وطنه . ومع الزهو ، احس بالامن .. لتطل الحرب او تقصر ، فليس فى هذا العالم قوة تستطيع ان تسيطر على هذه البلاد المترامية الاطراف ، التى لاتزال مساحات كبيرة منها عذراء لم تلمسها قدم رجل اوروبى !

وظلت الطائرة محلقة من الضحى الى مابعد العصر . وكان يقودها طيار امريكى شاب قدمته مدام شيانج ـ كاى ـ تشيك الى « آى ـ وان » قائلة :

ـ هذا هو الطيار الكابتن ماجورك يامستر « آى ـ وان »

وكان ذلك بعد ان صعد « آي ـ وان » الى الطائرة والخادمجلسه فيها . وقد سلمت مدام شيانج ـ كاي ـ تشيك الى كل منهما كيسا صغيرا وهي تقول :

ـ هذا هو طعام الغداء ..

وكان « اي ـ وان » قد تناول من هذا الكيس طعام الغداء المكون من رغيفين من الخبز الافرنجي ، وبعض شرائح اللحم والمشهيات ..

وعندما اوشكت الشمس ان تغيب ، اذا بالطائرة تهبط في حقل غير مزروع في مكان ما غربي الصين ..

ومضى الكابتن ماجورك و « آي ـ وان » الى حانة قريبة من ذلك الحقل ، تعود ان يبيت فيها كلما هبط في ذلك المكان ليلا . وبعد ان تناولا طعام العشاء ، آويا الى الغرفة المخصصة لهما .. وهناك قال الكابتن لـ « آي ـ وان » :

ـ هل زرت الولايات المتحدة الامريكية ؟

ـ لا .. ولكن يبدو مما قرات عنها انها بلاد لطيفة ..

فقال ماجورك بحماس :

ـ انها جنة الله في ارضه .. ولست ادري لماذا لا استقر فيها . انني كلما ذهبت اليها لاستقر ، شعرت بالحنين للعودة الى هنا .. يبدو ان نداء المغامرة هو الذي يدعوني !

ونهض الاثنان في الصباح ، وتناولا افطارهما بسرعة ، ثم هرعا الى الطائرة التي كانت في حراسة بعض الجنود المتطوعين .. وحلقا بها في الطريق الى نهاية الرحلة . وكانت الطائرة في هذه المرة تحلق نحو الشمال الغربي فوق سلاسل من الجبال والصحراوات والسهول البرية الجرداء ، ولما مالت الشمس نحو المغيب بعد الظهيرة ، اشار ماجورك الى مكان ما تحته وقال :

ـ سوف نهبط هنا .. لقد وصلنا ..

واغلق المحرك ، ولم تلبث الطائرة ان هبطت كالحمامة ، على ارض واسعة ممهدة خارج اسوار احدى القرى ..

واسرع نحوهما الفلاحون من حقول الارز ، بملابسهم القطنية الزرقاء ، وقال ماجورك باسما وهو يهبط مع « آي ـ وان » من الطائرة :

ـ انك الآن فى قلب المنطقة الشيوعية ، وهاتلا تراهم آدميين تماما مثلنا . والواقع انهم اشخاص لاباس بهم . وانى احب زعيمهم الذى ساصحبك الآن اليه .. انه انسان على جانب كبير من الكياسة واللطف ..



كان « آى ـ وان » مؤمنا فى قرارة نفسه بان « ابن ـ لان » مات قتيلا ، بحيث رفض اطلاقا ان يصدق عينيه حين مضى به الكابتن ماجورك الى زعيم القوات الحمراء : فاذا هو نفسه « ابن ـ لان » فى ملابس عسكرية قديمة عادية

كان جالسا الى منضدة من الخشب ، فى غرفة غير مرصوفة بالبلاط ، وليس بها الا مقعدان من الخشب ايضا . ولما رفع وجهه ، اخذ الاثنان يتبادلان النظر فى ريبة وعجب بعد عشر سنوات من الفراق . وكان الكابتن ماجورك فى تلك اللحظة يقول :

ـ ان المستر « آى ـ وان » يحمل رسالة خاصه من الجنرال اليك ..

ولكنهما لم يكونا ينصتان اليه .. وانما كانا يحملقان ، كل فى وجه الآخر ، واخيرا قال « ابن ـ لان » ببطء :

ـ انك لست « آى ـ وان » !

ـ انه انا .. ولكن كيف استطيع ان اصدق انك « ابن ـ لان » ؟

واخذ كل منهما يقترب من الآخر ، ثم يتحسس ذراعيه وكتفيه ووجهه ، ثم اذا هما فى النهاية يتعانقان ..

وقال « ابن ـ لان » :

ـ اين ذهبت ؟ اننى لم اسمع عنك شيئا .. كل ماعرفته ان بيونى اسرعت الينا فى صباح ذلك اليوم المشهود حيث كنا مجتمعين ، ولكنك لم تات . وانتظرناك الى آخر لحظة ، ونحن نتوقع ان نراك

وقال ماجورك :

ـ آه ! ايعرف احدكما الآخر ؟ حسنا .. لا داعى لبقائى هنا . سوف امضى الى الطائرة لاصلح من شانها وانظف محركاتها ..

ولم يره احدهما او يسمعه ، وانما كان « آى ـ وان » يقول :

ـ بيونى ؟ اذن فاليكم ذهبت حين غادرت القصر ؟

ـ نعم .. وهى هنا الآن ، معنا .. انها زوجتى منذ عشر سنوات ..!

وصفق « اين ـ لان » وسرعان ما اقبلت بيونى .. بيونى نفسها ، ولكن بلا بدين عاطرتين ، ولا اثواب حريرية ، وانما فى ثوب عسكرى ، وبدين خشنتين ، وشعر مهوش ، ووجه ضاحك ..

واندفعت اليه تعانقه ، وهى تهتف :

ـ « آى ـ وان » .. « آى ـ وان» .. « آى ـ وان » ..

وقال « آى ـ وان » بعد ان افاق من مفاجاة العمر هذه :

ـ اسمحا لى ان اجلس .. فان ساقى ستخذلاننى من فرط المفاجاة ، اننى لا اكاد افهم شيئا .. بل انى اشعر كانى فى حلم !

وبعد ان مسح العرق من جبينه ، قال لبيونى :

ـ كيف حدث هذا ؟ كيف تزوجت « اين ـ لان » رغم انك كنت دائما تسخرين من مبادئه الثورية ؟

ـ ولكننى لم اكن اسخر منه هو .. لقد عثرت على تاريخ حياته فى تلك الصفحات التى كانت موضوعة تحت كتب قديمة فى احد الادراج . وبعد ان قرات هذا التاريخ ، احسست ان حياتى سوف ترتبط بحياة صاحبه .. ولم تخطىء مشاعرى !

وقال « اين ـ لان » بدافع الفضول :

ـ وانت يا « آى ـ وان » .. هل تزوجت ؟

ـ نعم .. منذ عشر سنوات أيضا ..

ـ ولك ابناء ؟

ـ طفلان ...

وكاد « آى ـ وان » ان يحدثهما عن زوجته اليابانية وطفليه ، ولكنه قرر ان يخفى هذه الحقيقة ، وهو يتذكر مدى كراهية « اين ـ لان » لليابانيين بوجه عام ..

وقال « آى ـ وان » وهو يقدم الخطاب المختوم الى « اين ـ لان » :

ـ اليس من العجيب ان يكون شيانج ـ كاى ـ تشيك هو الذى يجمع بيننا الآن بعد ان كان سبب فرقتنا ؟

الفصل الثامن عشر

اللقاء الخطير

تناول « اين ــ لان » الرسالة المختومة بالشمع الاحمر ، وهو يقول :

ــ كنت انتظر هذه بين لحظة واخرى .. ولكن لم يخطر ببالى يا «آى ــ وان» انك ستكون الرسول بيننا وبين «شيانج ــ كاى ــ تشيك » . حسنا .. يجب ان أحملها فورا الى اعضاء مجلس القيادة . انهم فى الانتظار .. وارجو ان تبقى حتى اعود اليك

ولما انصرف من الغرفة ، واصبح « آى ــ وان » بمفرده مع بيونى ، نظر اليها ، ونظرت اليه .. ثم لم تلبث بعد لحظة صمت ان راحت تسأله عن جدبه ووالديه واخيه « آى ــ كو » فراح يحدثها ببساطة عن افراد اسرته جميعا ، وذكر لها ان «آى ــ كو» قد تزوج ايضا ، ولكنه لم يخبرها أنه تزوج عروسا أوربية ، وكذلك ابى ــ غريزيا ــ ان يحدثها بشىء عن « تلما »

وفيما كانت تنصت اليه ، بدا وجهها فى نظره يستعيد طابعه الاول الذى طالما عرفه ، ولكنه ظل يحمل طابع السنوات العشر ، كما كان وجه « اين ــ لان » يحملها ايضا ، والواضح انها كانت سنوات من الكفاح المرير ..

وعاد « اين ــ لان » الى الغرفة بوجه ينم عن الوقار والجد ، ولكن عينيه كانتا تتألقان بالحيوية والنشاط ، وقال لبيونى :

ــ ان ما كنت اتوقعه بفارغ الصبر قد حدث يا بيونى .. ان الجنرال شيانج يريد ان نتحد قواتنا ضد العدو المشترك !

وارسلت بيونى صيحة ابتهاج ، بينما استطرد « اين ــ لان » يقول :

ـ كثيرا ما قلت لك ان الجنرال شيانج رجل عظيم ، وقد اثبت انه ايضا رجل حكيم بعيد النظر يضع مصلحة البلاد فوق كل منازعات مذهبية .. حسنا ، على الآن ان اقنع الجنود بهذا .. سوف اعقد اجتماعا مع رؤساء الوحدات العسكرية لأبين لهم فوائد اتحاد قواتنا فى المعركة مع قوات الحكومة ..

فقالت بيونى بحماس :

ـ هل اذهب واطلب منهم ان يقرعوا الناقوس للاجتماع !!

ـ اجل يا بيونى ..

جلس « آى ـ وان » بجانب بيونى على الارضية الجافة لساحة التدريب العسكرى ،وكانت جموع رؤساء الوحدات العسكرية التابعة لقيادة « اين ـ لان » جالسة بغير انتظام ، ووجوههم جميعا مرفوعة الى « اين ـ لان » الواقف بالقرب من « آى ـ وان » استعدادا للحديث معهم ..

وارتفع صوته واضحا عاليا ، وهو يقول :

ـ انتم تعرفون ماذا فعلنا .. فمنذ ست سنوات اعلنا الحرب على اليابان ، وقد ضحك العالم علينا يومذاك . ولكننا بعد ثلاث سنوات قمنا بزحفنا التاريخى الطويل ، وقد تمزقت اقدامنا ، وانهارت ابداننا ، ومات الكثيرون منا ، ولكننا كنا نعرف من هو العدو الحقيقى لنا . انه لم يكن شيانج ـ كاى ـ تشيك الذى طاردنا بعنف الى داخلية البلاد ، وانما عدونا الابدى هو اليابان. وان الذى استطاع ان يطاردنا ويحارب اليابانيين فى آن واحد ، يستطيع الآن ان يطارد اليابانيين اذا نحن اتحدنا معه. انه الرجل الوحيد الذى يجب ان نسير جميعا وراءه نحو النصر ..

وارتفعت الاصوات عالية مدوية :

ـ بل انت يا « اين ـ لان » .. انت .. انت .. انت ..

فصاح « اين ـ لان » قائلا :

ـ لا .. ان الوقت لم يحن بعد لان اكون انا القائد نحو النصر، ولهذا ينبغى ان نواجه الامر الواقع ، وان نجعل مصالح البلاد فوق كل مصلحة اخرى . انني اطالبكم بالاتحاد مع قوات الحكومة

لمواجهة العدو المشترك . اننى اريد منكم أن تنسوا انفسكم .. ان تنكروا مصالحكم الخاصة .. أن تكبتوا مشاعركم الذاتية .. واذكروا فقط بلادكم .. الصين

وخيم الصمت على الجميع .. وكانت بيونى تكتب باصبعها على الارض كلمة « الصين » اما « اين ــ لان » ، فقد عاد يهتف قائلا بعد ان تحدث طويلا فى هذا الشأن :

ــ الذى يوافق على هذا الرأى يرفع يده اليمنى ..

وارتفعت فى الجو مئات الايدى ، وهنا قال « اين ــ لان » :

ــ والذى يعارض الآن يرفع يده اليسرى ..

ولم ترتفع يد واحدة .. وعندئذ احنى « اين ــ لان » راسه، ثم استدار ببطء وتحرك بعيدا . وسرعان مانهض الجميع واقفين، وانصرف بعضهم ، ووقف بعضهم الآخر فى حلقات يتبادلون الحديث ..

وانتهى الاجتماع ، ورأى « آى ــ وان » صديقه «اين ــ لان» يتجه نحو غرفته البسيطة فى مركز القيادة ، وهنا وثبت بيونى واقفة ، وقالت :

ــ يجب ان اسرع اليه .. انه دائما يبدو مجهدا بعد مثل هذه الاجتماعات ..

ومضى « آى ــ وان » نحو الطائرة التى كان ماجورك الامريكى يضع الزيوت فى محركاتها ، وقال له :

ــ متى سنعود ؟

ــ فى الرابعة صباحا ..

ثم دنا الامريكى الى « اين ــ لان » الذى كان فى طريقه الى مركز القيادة واردف قائلا :

ــ هل تحقق له ما اراد ؟

ــ اجل ..

ــ انه رجل عظيم .. لا يقل عظمة عن شيانج . ولكننى اكثر اعجابا بشيانج لانه رئيسى المباشر

وقال له « آى ــ وان » :

ـ لسوف اكون هنا فى الرابعة صباحا ..

واصبح « آى ـ وان » بعد ذلك ضابط اتصال بين شيانج ـ كاى ـ تشيك وصديقه « ابن ـ لان » . وكان يحمل الى كل منهما آراء الآخر ، ويعمل على تنسيق الخطط بين القوات التابعة للجيشين .. وكان شيانج قد تخلى عن نانكنج ، واستعد لاخلاء كانتون ، وكانت شنغهاى قد استسلمت للاعداء قبل ذلك . ولكن شعار المحاربين الصينيين كان يدور يومذاك حول بث روح المقاومة فى الشعب بصرف النظر من سقوط المدن ، لان هذه يمكن استردادها فى الوقت المناسب !



وكانت اساليب الحرب التى يتبعها « ابن ـ لان » تختلف كثيرا من اساليبها التى يلتزمها شيانج ـ كاى ـ تشيك . كان « ابن ـ لان » وزملاؤه القواد قد قرروا أن يحاربوا الغزاة اليابانيين بطريقة « اضرب واهرب » وهى طريقة حرب العصابات التى ثبت نجاحها فى مختلف الدول المناضلة ضد قوات عدو اقوى منها ، وهكذا كان جنود « ابن ـ لان » يعملون فى الصباح بزراعة الارض ، ويبدون كاى مزارعين مسالمين ، ويتظاهرون حتى بالبلاهة اذا جاء الجنود اليابانيون يسألونهم عن اماكن رجال العصابات ، ولكنهم يتحولون فى الليل الى محاربين اشداء ، وفدائيين لا يشق لهم غبار .. فكانوا ينقضون فى وحدات قليلة على الحاميات اليابانية المتفرقة ، فيقضون على رجالها بسرعة ، ثم يرتدون كالاشباح الى معاقلهم الجبلية .. حيث يقضون بقية الليل ، قبل ان يعودوا الى مزارعهم فى الصباح !

ولما اعجب « آى ـ وان » بهذه الطريقة ، رتب مقابلة بين « ابن ـ لان » والجنرال شيانج ـ كاى ـ تشيك ، وكانت النتيجة أن اعلن الجنرال تخليه عن الحرب النظامية أمام قوات موفورة العتاد ، رائعة التدريب ، والتجائه الى حرب العصابات التى تناسب بلاده ، وتلائم طبيعتها كل الملاءمة ..

وكان « آى ـ وان » فى خلال هذا كله يراسل زوجته « تلماء » التى كانت تبعث اليه برسائلها المفعمة بالاخلاص والتقدير ،

والتي كانت تذكر له فيها كل شيء عن طفليه بالتفصيل ! وقد اعربت عن استعدادها للحضور اليه مع طفليها حتى والحرب قائمة ..!

وفي ذات يوم ، وكان قد امضى بضعة شهور مع « اين ـ لان » مشتركا في حرب العصابات الجبلية ، فوجيء بطائرة الجنرال شيانج ـ كاي ـ تشيك تهبط في ساحة التدريب ، ثم يقفز منها الكابتن ماجورك ، ويسرع نحوه ويقول له بعد ان يحييه :

ـ ان الجنرال يريدك لامر هام ، فارجو ان تستعد للرحيل بعد ان اعد الطائرة لرحلة العودة ..

ودهش « آى ـ وان » لهذه الدعوة المفاجئة ، وخشى ان يكون الجنرال قد علم بامر زوجته اليابانية « تلما » فقرر ان يستدعيه، ويطلب اليه ان ينفض يديه منها ومن طفليه تماما .. فلو صح هذا ، فماذا يفعل ؟

ووجد نفسه يهز راسه في عناد واصرار ، ويغمغم كانما يحدث شخصا امامه : « لا .. حسبى انى تركت عملى وزوجتى وابنائى لاشترك في الدفاع عن وطنى ، واكثر من هذا لن افعل »



وحملته الطائرة الى مقر قيادة الجنرال شيانج في هانكاو ، ولشد ماكانت مفاجاته حين راى مركز القيادة هذه المرة لا يعدو ان يكون بيتا صغيرا من الآجر ، ولما صلصل جرس الباب ، فتحه له خادم في ملابس بيضاء ، وقد بدا من سمته انه كان يتوقع وصوله .. ثم قاده الى غرفة انتظار ، وطلب منه ان يمكث فيها قليلا ثم انصرف ، وما هى غير لحظات حتى فتح الباب مرة اخرى ودخل والده ، فنهض « آى ـ وان » واقفا وقد ازعجه ما بدا على الوالد من نحول وحزن واكتئاب ، وقبل أن يقول شيئا ، قال له الوالد بصوت الرجل المرهق :

ـ اجلس يا ولدى ..

وجلس « آى ـ وان » وراح ينظر محزون النفس الى ابيه الذى كان قد مضى عليه نحو عام دون ان يراه ، ثم قال اخيرا :

ـ ماذا بك يا ابى ؟..

فهز الرجل الكهل راسه فى اسى ، وقال :

ـ لا شيء اكثر من ان هذه الحرب سوف تقضى علينا بهذه الطريقة او بتلك ، لقد استلمت منذ ايام رسالة من نانكنج .. نانكنج التى ساهمت فى اقامتها على احدث طراز عصرى ، واشتركت فى رصف شوارعها واقامة مؤسساتها وانشاء حدائقها وتقديم القروض لاصحاب المبانى فيها .. نانكنج هذه قد دمرت الآن واصبحت خرابا

فهتف « آى ـ وان » قائلا فى فزع :

ـ هل تعنى انها .. تحطمت تماما ؟

ـ ان ما لم يتحطم منها اصبح فى يدى الاعداء ..

ثم انحنى الرجل الكهل ، وقال فى قلق شديد :

ـ ان الذى يزعجنى ويفزعنى حقا ليس موت الرجال وانهيار البيوت ، وانما انتشار الافيون وبيعه فى الاسواق بامر اليابانيين .. انهم بهذه الطريقة سيحطموننا تماما ..

ولشد ما فزع « آى ـ وان » حين راى الدموع تنحدر بغزارة على وجنتى ابيه . وكانت تلك اول مرة يرى اباه يبكى ، ومن ثم احس كان كل عبرة من دموع ابيه ، جمرة تحرق شيئا فى اعماق نفسه . ومسح الوالد دموعه ثم قال :

ـ معذرة يا « آى ـ وان » .. ان هناك اسبابا كثيرة اسالت هذه الدموع ، وانى لارجو ان تستطيع الذهاب معى بضعة ايام الى ضياعنا ، انها الضياع التى ستكون لك ولاولادك يوما ..

ودهش « آى ـ وان » حين سمع والده يخصه بالضياع دون اخيه « آى ـ كو » .. ولكنه علم السر فيما بعد ، واردف الوالد يقول :

ـ ان ضياعنا فى الاقاليم الداخلية بالصين . ولعل هذه الاقاليم هى التى ستبقى لنا فى النهاية حتى يحين الوقت المناسب لطرد الغزاة . اننا الآن نقوم بنقل كل شيء الى هذه الاقاليم .. المدارس والمصانع والمؤسسات والبنوك ..

وقال « آى ـ وان » بدهشة :

ـ هل ينوى الجنرال ان يتخلى عن هانكاو ايضا ؟

— نعم .. ونحن نرجو ان يكون مصيبا فى هذه الخطط ، والا فقد ضاعت الصين !

وساد الصمت الثقيل برهة .. ولم تلبث مدام شيانج ان اقبلت قائلة « لاى — وان » :

— ان الجنرال فى انتظارك مع الوالد ..

ودخل « آى — وان » مع ابيه ، وحيا الجنرال .. ثم جلسا برهة ريثما قدمت مدام شيانج الشاى اليهما ، ثم انصرفت . واخيرا قال الجنرال فجاة ، وبلا مقدمات :

— لقد ارسلت اليك لسببين .. الاول لاخبرك بمقتل اخيك « آى — كو »

وخيل الى « آى — وان » انه لم يفهم شيئا ، واحس براسه كانه يدور فى الهواء ، ونظر الى ابيه ، فرآه مطرق الراس فى ذلة وانكسار . وقبل ان يقول شيئا ، استطرد الجنرال يقول بلهجته الحاسمة القاطعة :

— سوف تريد أن تعرف كيف مات .. مات ميتة كل خائن لبلاده . لقد عرف انه — هو وخمسة من زملائه — يعملون على قلب نظام الحكم ، واجراء صلح مع اليابان

وتناول الجنرال قصاصة ورق من فوق المكتب ، وقدمها الى « اى — وان » قائلا :

— فى هذه الورقة اسماء الخونة الخمسة .. وقد كتبها الصينى « جاكى — ليم » .. فحملق « آى — وان » فى وجه الجنرال شيانج ، وقال :

— « جاكى — ليم » .. الصينى العائد من امريكا ؟

— اجل .. ولا تحقد عليه .. انه رجل امين شريف بسيط النفس ، وقد ساءه ما سمع من اشتراك اخيك فى هذه المؤامرة ..

ولم يجرؤ « آى — وان » ان يسال الجنرال : كيف يحكم على اخيه بالخيانة ثم بالاعدام بناء على شهادة رجل آخر قد يكون موتورا او حاقدا لسبب ما !

ولكنه لم يتمالك نفسه من ان يسال قائلا :

— واين « جاكى — ليم » الآن ؟

ـ اعدناه الى وحدته العسكرية ليواصل الحرب .. ولا اعرف ملاذا حدث له :

وبعد برهة من الصمت ، قال الجنرال :

ـ اعتقد ان ما حدث لاخيك كان بسبب زوجته الاجنبية .. انها هي التي جعلته يحتقر ابناء وطنه ، وقد اصدرت امرى باعادتها الى وطنها فورا ..

وعندئذ قال الوالد بصوت منكسر :

ـ اجل يا شيانج .. انها هذه الزوجة الافعى . لقد نفثت سمومها فى ابنى ، وجعلته ينقلب على مواطنيه .. وانى اشكرك على اعادتها الى بلادها ..

ولما تهدج صوت الوالد ، قال له الجنرال فى اشفاق :

ـ يمكنك ان تخرج الان يامستر واو ، انك فى حاجة الى الراحة ، واحب ان اقول لك ان ما حدث لابنك لن يكون له اى تاثير على صداقتنا الشخصية !

ونهض الوالد وانحنى باحترام ، ثم غادر الغرفة ..

وفجاة قال الجنرال شيانج لـ « اى ـ وان » :

ـ لقد اصبحت الآن الابن الوحيد لابيك ، ولاسرتك .. ونحن فى غير حاجة الى الجنود المقاتلين ، لان لدينا اكثر من حاجتنا منهم ، وانما نحن الآن احوج ما نكون الى مضاعفة الانتاج الزراعى حتى نستطيع ان نوفر للشعب ، وللمحاربين .. الضرورى من الطعام ، وقد استقر الراى على ارسالك الى ضياع الاسرة لتتولى ادارتها ومضاعفة انتاجها ..

وقبل ان يرد « اى ـ وان » بشىء ، قال الجنرال وهو مقطب الجبين :

ـ انك متزوج من فتاة يابانية .. اليس كذلك ؟

ـ اجل ..

ـ قبل ان اصرفك الآن ، اريد ان اطمئن على ان هذه الزوجة اليابانية لم تترك فى نفسك عين الاثر الذى تركته الزوجة الاوربية فى نفس اخيك ..

وجمع « اى ـ وان » كل ما لديه من شجاعة معنوية ، وقال :

ـ وكيف تريد ان تطمئن يا سيدى الجنرال ؟
ـ هل يمكنك ان تتخلى عنها نهائيا ؟
ـ بأمر منك ؟..
ـ نعم ..
ـ لا .. لا استطيع ..

ثم قال بصوت الانسان الذى قرر ان يحتفظ بكل حقوقه الشخصية :

ـ لقد تركت عملى وزوجتى وابنائى وجئت بمفردى للاشتراك فى الدفاع عن الوطن .. وباكثر من هذا لا استطيع ان اضحى ، وعندما يسود السلام ، سوف أدعو زوجتى للاقامة معى هنا . ان ابنائى صينيون بالجنسية ، وان زوجتى وفية لى ، مقدرة لظروفى ..

ورمقه الجنرال بنظرة حادة ، ثم قال :

ـ اى نوع من النساء زوجتك هذه ؟

لتناول « آى ـ وان » من جيبه بعض رسائلها اليه ، وقدمها للجنرال الذى راح يقرأ فيها عبارات « تلما » النابضة بالحب والتقدير والاعجاب ، والزاخرة بتفاصيل حياة الطفلين . وكانت كل رسالة تنتهى بهذه العبارات :

« اننا نضع الزهور كل يوم حول صورتك ، ونصلى من اجلك واجل السلام ، ونتمنى ان نرى اليوم الذى يجتمع فيه شملنا مرة اخرى .. اننى احدث طفلينا عنك وعن شجاعتك وتفانيك فى حب وطنك حتى اصبحت فى نظرهما بطلا عظيما .. »

وكان « آى ـ وان » يرقب وجه الجنرال شيانج ، وهو يقرأ هذه الرسائل .. فلما فرغ منها ، رفع وجهه ، ثم ابتسم لاول مرة ، وقال لـ « آى ـ وان » :

ـ اكتب اليها واخبرها انناسنتخذ الاجراءاتاللازمة لاحضارها مع ولديك اليك فى اقرب فرصة . والآن ، يمكنك ان تتصرف استعدادا لاستلام ضياع ابيك وادارتها ومضاعفة انتاجها ..

وضغط الجنرال على الجرس ، فلما اقبلت مدام شيانج ، قال لها :

ـ اين خريطة مشروع الطريق الجديد المؤدى الى بورما ... لقد كانت فى يدى منذ لحظة ..

فضحكت زوجته وقالت :

ـ انها لا تزال تحت يدك على المكتب ..



وانصرف « آى ـ وان » وهذه الكلمات ترن فى اذنيه : الطريق الجديد نحو بورما .. هل تم انشاؤه فعلا ؟ لقد سمع ان آلافا من الرجال والنساء يعملون فيه. حسنا ! ان المشروعات الاصلاحية تجرى جنبا الى جنب مع الحرب . واذا كان الاعداء يضربون بالقنابل المدن الساحلية ، فان المواطنين ينشئون الطرق الجديدة الى الاقاليم الداخلية .. ولا شك ان هذه الطرق ستكون سببا فى « تحضير » هذه المناطق النائية .. ولا شك ان ابناءه ، حين يكبرون سيجدون انفسهم فى دولة كبرى تساير حضارة القرن العشرين

فمن يدرى ! ان كل شىء محتمل !..

تمت



روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمى

هذه الرواية

تقدم لنا الروائية العالمية « بيرل بك » فى هذه القصة الشائقة صورا جديدة نابضة من مختلف صور الحياة فى الصين واليابان . وليس هناك من يفوق « بيرل بك » فى الكتابة عن الصين واليابان .. هذه البلاد التى عاشت فيها معظم سنوات حياتها ، واحبتها وكرست قلمها للكتابة عنها ..

وهى فى هذه القصة ، تحدثنا عن حب شاب صينى لفتاة يابانية حسناء ، وعن الصراع الذى خاضه الشاب ليظفر بالفتاة الحسناء من يدى جنرال يابانى عجوز واسع النفوذ كان مصرا على الزواج منها ، وتمضى الكاتبة فتصور لنا معنى الحب فى قلب الفتاة اليابانية بالذات ، ومعنى الحياة الزوجية فى نظرها ، وهل حقا ما يقال فى انحاء العالم بان الزوجة اليابانية هى أحسن زوجة فى العالم ؟

ولعل أشد ما يحرك النفس ويثير الشجن ، هذه الصور الجميلة للحياة فى مدينة ناجازاكى قبل أن تقضى عليها تماما تلك القنبلة الذرية الآثمة التى ستظل وصمة عار عالقة بجبين الانسانية مدى الدهر .. لسوف نرى كيف كان سكان تلك المدينة الجميلة يعيشون آمنين كذحين فى بيوت انيقة تحيط بها الحدائق الزهراء والبساتين المثمرة ، وكيف كانوا يجدون ويلعبون، ويستمتعون باطيب الحياة!

غادة اليابان

المؤلفة

* بيرل بك كاتبة كبيرة امريكية المولد قضت معظم حياتها فى الشرق الاقصى

* أول رواية كتبتها هى رواية « ريح الشرق » ثم كتبت « ريح الغرب » ثم «الارض الطيبة» .. وبعدها روايات أخرى كثيرة

* حائزة على جائزتى بوليتزر ، ونوبل

* هذه الرواية « غادة اليابان » تعتبر من أحسن رواياتها التى كتبتها

